



أحلام في الظهيرة

شروت أباطه

مكتبة غريب

احلام فى الظهيرة

شروت أباطه

أحلام في الظهيرة

مكتبة غريب

— ١ —

حين كان الزمان مثل الموسيقى الحاملة الهادئة وكان الناس فيه انغماسا ساجية حالة . ذلك الزمان الذي لم نره نحن وانما هو بالنسبة اليينا روايات عن الآباء تلقفوها عن الأجداد فأصبحنا ولا نعرف عنه الا مباهجه ومعتته ، الجلسة الهادئة المليئة بالسعادة والضحك والهناء ، فالأجيال جميعا تحب ان تنظر الى امس الغارب وتكره الحاضر وما تشهده فيه من صراع وتخشى المستقبل الذي تطل عليها بواكيره مكشرة الأنبياء رهيبة السمات .

ذلك الزمان البعيد عنا هو احب الأزمان علينا لأننا لم نشهده ولا نستطيع ان نعرف منه الا ما حلا للأجداد ان يرووه لأبنائهم الذين هم أبائنا ونقله اليينا الآباء سعداء بما ينقلون مقارنين دائما بين الخير الذي كان يشيع في جوانبه والشر الذي يفشو في الزمان الذي يعمشون فيه . وهكذا أصبح شأننا نحن أيضا لا يختلف جيلنا الحاضر عن أجيالنا السابقة فأصبحنا بماخطين نحن نفوسنا الى هذه الملاوة من الزمن التي كنا فيها.

بلا مسئولية وبلا صراع وكان أبائنا يحملون عنا العبء جميعا
ونحن نتصور - كما يتصور إبنائنا اليوم - أن عليهم أن يحملوا
العبء وعلينا نحن أن نساعد وعليهم هم أن يحبونا وعلينا نحن
أن نحترمهم فقط ثم لا نصنع شيئا من بعد .

فى ذلك الزمان البعيد بدأت أسرة وهدان تتكون . وكان
رأس الأسرة طفلا بريئا فى الملعب يلهو مع أترابه عن الأبطال
لا فارق ثمة بين طفل وطفلة ولا بين قادر بسط الله الرزق لأبيه وبين
معسر قدر الله سبحانه - لحكمة لا يعلمها الا هو - الرزق على
نويه . فى ذلك الزمان كان وهدان يحب نبوية ذلك الحب الطفل
الطيب الذى لا يعنى عند أى منهما الا خفقة فى القلب وفرحة عند
اللقاء وشوقا عند التباعد .

وحين شب كلاهما عن الطفولة الى الصبا القريب من الفتوة
احتجبت نبوية ولم تصبح الحياة كلها لعبا عند وهدان . بل
كان يحلو له أن يتشبه بالرجال ويقف فى الجرن ويرقب النورج
أو يركبه . أو يقف فى الغيط يجمع القطن أو يرقب من يجمعونه .
وما كان أبوه غنيا ولم يكن أيضا معسرا وإنما هى أربعة أفدنة
تنأى بأبيه عن الأجراء لتضعه فى مصاف الملاك .

ولكن الحقيقة مع ذلك تبقى كما هى أربعة فدادين .

كانت الشمس ساخطة على الأرض ، تكوينها بشواظ لاهب
من النار ، وكان النورج يدور وقد أوشك هو الآخر أن ينبجس
العرق من خشبة أو من عجلاته الصلبة الحادة وهى تمر فى دائرة
مفرغة على عيدان القمح فى ملالة وضيق يجرها الثور الكبير
وقد أوشك أن يتهاوى من شدة الحر . وكان وهدان يعتلى صهوة

الدكة الخشبية التي يجلس اليها من يسوق الثور وييده موزط
مفقول من لحاء اشجار التيل الذي يزرعونه حول حقول القطن
ليرد عنها عادية الاتربة وعنوان الحيوان .

وكان يدري ان الجرن الذي يتلبس فيه ملابس للرجال نوى
الأعمال هو الطريق الطبيعي لمسير نبوية . وكانت هي ايضا
تعلم ذلك فكانت تظل في هذا اللهيپ من الحر رائحة جائية تتظاهر
بانها تؤدي مطالب المنزل وعلم الله واحسب ان وهدان ايضا كان
يعلم انها لا تكثر من المورر الا لتلتقى نظراتها بنظراته وتطفو الى
شفاه كل منهما تلك الابتسامة الوداعة الحنون التي يخفق لها
القلب ذلك الخفق الدؤوب الجديد المرتفع الوجيب المتخافت الصوت
حذر ان يطلع عليه من شهود اللقاء أحد .

كانت حياة وهدان منذ البواكير الأولى من سنوات عمره
حياة جادة حازمة كلها عمل . وربما كانت سنوات الكتاب التي
تتسم بعنف العلم وصعوبة العلم بالنسبة لوهدان هي اندى هذه
السنوات واخفها وطاة عليه لو كان من هؤلاء السذين يرون في
العمل جهدا وشقاء . ولكنه كان من الذين يحبون ان يعملوا .
ولا يقومون بالعمل ان كان ممثعا او غير ممثع . وانما هو عمل
ولايد ان يؤدي فهو يؤديه كما يتنفس الهواء ويطعم الطعام .

ولم يكن جلوسه على النورج في هذه السن الباكرة لعبا
شأن رفاقه من الصبية . فما هي الا أيام قليلة ركب فيها النورج
لهوا ومراحا ثم سحب أبوه المكلف بإدارة النورج ، وجهه الى
أعمال أخرى وترك النورج بكل ما يتصل به من أعمال عهدة في
ذمة وهدان ، فهو الذي يجمع اكوام التبن والقمح ويمد النورج

بزاده الجسد من اعداء القمح ذات السنابل حتى اذا مالت الشمس الى منزلها من المصرتوجه الى كوم القمح رجلان او ثلاثة اشداء لينزوا الاكوام فينفصل القمح عن التبن بنفس الوسيلة التي كان يتبعها اجدادهم واجداد اجدادهم منذ عرف الانسان القمح كوسيلة لصنع العيش .

ومرت الايام . واوشك موسم الحصاد ان ينتهى وبدأت المخاوف تساور الصبيين اللذين التقيا بشبابهما مع انساق القمح ان يصبح اللقاء بينهما غير ميسور .

وكانت الشمس فى السماء حريقا وكان النورج يدور دورات كان وهدان فى غير حاجة اليها ولكنه يديره ليجد عند نفسه او عند السارة عنرا ينتظر به مرور نبوية حتى اذا مرت قفز من النورج قفزة سريعة ملهوقا يريد ان يظفر منها بوعد على اللقاء ولكن مسمارا فى النورج يمسك بجلبابه فاذا وهدان تحت النورج واذا الأسلحة تبتر ذراعه الأيسر او تكاد وترى نبوية ما حل بحبها وتصرخ بأعلى صوت لها فيدوى صراخها فيملأ انحاء القرية وتجرى الى وهدان الذى فقد وعيه فتبعده عن النورج وتعمد الى خمارها وتسد به نوافير الدماء المندفعة من الخراخ وتحتضن الفتى فى لوعة وتصرخ لا يعنيتها ان يراها الناس ، ويقل الملا من كل حسب وينقلون وهدان الى حلاق الصنحة وتلازمه نبوية لا تتركه ويضطر ابواها اللذان جاءا مع الجموع ان يلازمها مدركين ما ينفطر به قلب الابنة .

وحين تطمئن الجموع على حياة وهدان ينصرف كل الى شأنه الا نبوية . ويقول الأب لزوجته وابنته :

— اذهبوا انتما هاتني سابقى

ولا يدري احد او لعل كل محب يدري من اين استنقذت
نبوية ان تاتي بكل هذه الشجاعة التي تجعلها تقول لابيها في حسم
عاطف لا يقبل المناقشة :

— انا سابقى يا ابا ..

ويضئ الأب ان يجاوز النقاش ما بلغه من حسم فينفضح من
حب الفتاة الطاهر ما ينبغي ان يظل في طي الكتمان ويقول في
استسلام :

— ونبقى نحن ايضا ..

ومع انسام الفجر تنقطع اهات وهمدان التي ظلت تدوى
طوال الليل وتوقظ نبوية التي لم تنم اباهما وامها من نومهما
الجالس ويتجه ثلاثتهم الى بيتهم .

★ ★ ★

— ٢ —

أى تحد تلبس وهذان منذ ذلك اليوم • كان يعرف نفسه طفلا
 لاهيا اذا دعاه الرفاق الى اللهو • وكان يعرف نفسه أيضا يقبل
 على العمل مع أبيه كلما دعاه أبوه الى ذلك العمل • ولم يكن
 يعرف فى نفسه أن إقباله على العمل ما كان الا ليستجلب الى
 كيانه وجوانحه ذلك الشعور بأنه بلغ مبالغ الرجال • وأنه يستطيع
 أن يقوم بعملهم ويسير طريقهم ويختط فى الحياة خطتهم • وأنه
 بذلك يستطيع أن يحدث نبوية وكأنه رجل • وأنه خف القطن مع
 أبيه وأنه جمع مع الجامعين وأنه فى موسم القطن يفرط ثمارها
 عن كوالحها وأنه فى موسم القمح يدرسه كما رآته • كان يحب
 أن يصنع هذا الصنيع ولم يكن يدرى أنه يحب ذلك جميعه لينشئ
 منه حديثا مع نبوية فى امسيات الصيف وبمشهد من الحقول ومن
 أشجار الكافور والعمل ومع روائح الزروع ومع انسجام العبق
 الإلهى تسرى فى خفايا الليل بكرا دائما كأنها لأول مرة تنطلق
 الى أرجاء الحياة ••

وحين اصابه هذا الذي اصابه واصبح بذراع واحدة ظل طوال فترة علاجه يفكر .. ايصبح عاجزا .. ايثير الشفقة كلما وقعت عليه عين .. ايكون في الحياة انسانا ناقصا .. لا امل من بعد في نبوية .. ولكن ماذا بعد .. ان تلك وحدها كارثة الكوارث اجمعين ولكنها حصلت .. وقعت .. بترت ذراعه .. ايصبح على الحياة عالة .. ايفقد نبوية ويفقد كرامته في وقت معا .. لقرين منى الايام ما لم تتوقعه منى حين كنت طسحيا بل وما لا تتوقعه من صحيح آخر مهما تكن قوته وجبروته .

لاكونن اشد عنفا عليها مما عنفت به على .. فتى كان في اول عهده بالمفتوه ينام في سريره ليعالج في تلك الزمان البعيد كل البعد عن زماننا اليوم .. والايام تتناول به والمرض جائح باتر والدواء بدائى يخبو مايزال في ظلمات سوامس من الجهل والتأخر ... ماذا يصنع الفتى اذا لم يتوعد الحياة ويهددها ... وما البأس عليه وهو نائم والحياة كلها يقظة وداب وعمل وكدح

ولكن نبوية تعوده كل يوم .. فما له اذن يقطع ان الأمل في الزواج بها قد انقطع ؟ وماله يجعل فقدانها امرا لا مفر منه ولا شك فيه ولا سبيل اليه . والعجيب العجيب انه كان يكره زيارتها وان كان قلبه يعلو به الوجيب طيوال الفترة التي تستغرقها الزيارة . وكان يرى في عيني امه وابيه علامات تعجب فقد كان الفتيان والفتيات يزوجون في مثل هذه السن في هذه الايام فما لهذه الفتاة لا تقنى حياءها وما لها تُصر على زيارة فتى بترت ذراعه ويصلح لها عريسا . اتظن انه مادامت ذراعه قد بترت فهو لن يتزوج على اية حال .. انها مجرد ذراع ايتها الفتاة .. وما تمنع الذراع المبتورة الفتى ان يتزوج . فما مجيبك هذا كل

يوم فى جراحة لا تكون الا لزوجة كتب كتابها ودخلت ايضا • فما كان يجوز لمن يكتب كتابها ولم يدخل بها تزوجها ان تذهب الى بيته وحدها • • بله الخطيئة • • بله التى ليست بهذه • ولا بتلك •

عجيب شان نبوية فى رأى الاب والام معا •

اما وهذان فقد استقر به الرأى على واحدة من اثنتين • •
الما انها تشفق عليه فى هذه المحنة الطاحنة • واما انها تريد ان تحيى موات امله حتى ينتهى العلاج ويخرج الى الحياة مرة اخرى • وكلا السبيين كان يجعله يحزن كلما جاءت لزيارته ، وقد كانت زيارتها يومية وكلا السبيين لم يستطع ان يجعل قلبه يكف عن الوجيف • • وجيفا عاليا دراكا يكاد يعلن عن نفسه للملا الحاضرين بل والغيب ايضا •

وشفى وهذان • • وخرج للحياة ورضى عن نفسه وهو يجعل من احلام المرض وهذائه حقا واقعا وقوع حياة جادا جدية من لا يهذى ولا يعرف الى الهذاء سبيلا •

هو فى الغيط منذ الصباح الباكر وهو لا يعود الى البيت الا بعد ان تغيب الشمس وتوغل فى المغييب وتأتى اليه نبوية فى الغيط وعلى ملا من الذين يعملون فيه وتجالسه • فى أول يوم ذهب فيه الى العمل • وحرص ان يجعل الحديث بعيدا عن مواطن القلب وحرص على الا يتخاضع لها فى الكلام وانما شكرها لأنها جاءت تهنته بسلامة الخروج وشغل نفسه بالذين يعزقون الأرض لاينصرف عنهم ولا يميل اليها بكلمة • وان كانت نفسه جميعا باقية بجانبها لا تستطيع عنها منصرفا ولا تطيق منها فكاكا •

وابتسمت نبوية بتلك الشغافية التي عرفها الريف في قلوب فتياته
وبنياته . فمع أنها كانت ترى وجه وهدان وهو منصرف عنها الى
فؤوس العاملين الا انها كانت واثقة ان نفسه جميعا بقلبها
وجوانحها بجانبها . انتظرت مليا ثم قالت في شبه همس وفي
صوت اغن :

ـ فتك بعافية يا وهدان .

وقال دون ان ينظر اليها :

ـ مع السلامة .

وصحبت نفسه وجوانحه وانصرفت ، وقال هامسا لما بقي
منه . ما تزال تحاول تشجيعي على مصيبتى .

وفي اليوم التالي جاءت نبوية ولم يطق وهدان صبرا .
امسك يدها وانتفض جسمه انتفاضة لم يعرفها في حياته قط وابتعد
بها عن الجميع :

ـ مجيئك بالامس يرى فيه العاملون فتاة تهنى ابن قريتها
بالعودة الى العمل اما مجيئك اليوم فغير مقبول . عودى الى
البيت .

ـ وكيف اراك .

ـ ساجى انا اليك .

ـ اين ومتى ؟

ـ ايوافق ابوك على مجيئك ؟

ـ لم اساله .

ـ اتظنين انه يوافق ؟ !

ـ اذا اتصل الامر بى وبك فانا لا افكر .

أحس بالكلمة كأنها رصاصات أصابت منه كل المقاتل ونظر الى
ذراعه المبتورة وأبقى عينيه عليها لتخفيا دمعات تبأذرت فهمس وقال
بصوت لا يكاد يسمع ولكن فى نبرته امر وحسم .
- عودى الى بيتك .

وفى غير تردد قالت وهى تولى عنه :
- امرك هو الامر الوحيد الذى لا اناقشه . . فتك بعافية .
وتزداد الدموع وبلا من عينيه . . . اما عافية الجسم فقد
انالها اما عافية الروح فهيهات .

وظل وهذان يذهب الى الغيط كل يوم ومرت شهور وكان أبوه
يظن اول الامر انها نزوة جريح فقد ذراعه ولا يريد أن يصاحب الفتية
فيما يضطربون فيه حتى اذا تتابعت الشهور وأوشكت أن تكتمل
عاما أصبح الأب فى غناء عن الذهاب الى الحقل وراح يقضى نهاره
فى جلسته الحبيبة عند عبد الحميد ابو ديدة الخياط الذى لا تمنعه
صنعتة عن الحديث ولا عن سماع من يقرأ الجريدة له .

وكانت نبوية فى كل يوم تذهب الى حيث ترى وهذان وتطمئن
عليه وتنصرف لا تقترب منه ولكن لا تمضى أو تكون واثقة أنه رآها .
اذن فالامر ليس اشفاقا . . . ولا هو بتشجيع . .

جاءت من بعيد ورأها فراح يجرى اليها بكل قوته وهى قوة
عاتية . . . وما كان فى حاجة الى الجرى فقد كان منها ان يقبل
اليها ولو اقبالا وأنية هينة وانها لمنتظرة وان استغرق خطوه اليها
عاما واعواما . . .

- ماذا تريد يا نبوية ؟

- ودون ان تفكر لحظة
- اريد ان اتزوجك •
- ومادت به الارض بما حوت وصاح
- انا بذراع واحدة يا نبوية •
- وصاحت هي ايضا به
- وهل هذه جديدة على
- وفي تعجب حزين
- ألم ينقطع حبك لى حين انقطع ذراعى
- واجابته فى قوة حاسمة
- ومن قال لك انى كنت احب ذراعك
- ويطلق راسه
- لم اصبح انسانا كاملا •
- ويعلو صوتها وهى تقول
- ومن قال لك ان الانسان ذراع او ساق ... ان الانسان
- قلب وحنان ورجولة واصرار ... احبيتك بعد ان فقدت ذراعك
- اضعاف اضعاف ما كنت احبك من قبل ، واحبيتك حين امرتنى الا
- اجيء اليك فى الغيظ اضعاف اضعاف ما احبيتك بعد ان فقدت
- ذراعك ... وهذان ... اذا لم تتزوجنى فلن اتزوج طول عمري
- وتزوجا •

★ ★ ★

— ٣ —

عجيب شأن الأيام والسنين • فالأيام تمر بطيئة متثاقلة كأنما
يدفعها القدر الى المضى رغم انفها بينما تمضى السنوات ممرعة
تلهب الزمان بشيائها وتندفع كالسيل الجارف فاذا الطفل فتى واذا
الفتى شاب واذا الشاب كهل واذا الكهل شيخ واذا نظروا الى
امسهم وجدوه قريبا منهم يكانون لو سدوا ايديهم ان يمسكوا به
او هكذا يخيّل اليهم على الأقل • فهم يعلمون ان امسهم الذى ولّى
بعيد عنهم بعدهم عن بدء الخليفة • ولكنه فى اذهانهم وفى وجدانهم
كأنه ما مضى • وقد يتجسم الخيال فى نفوسهم ويوشكون ان
يصنقوه فما هى الا نظرة فى مرآة او قومة متثاقلة يعوقها الكبر
حتى يدركوا ما على اكتشافهم من سنوات وتبين لهم الحقيقة
اوضح ما يكون الواضح • ان السنين قد مرت ولم يكن مرورها
بوهدان وزوجته عيثا فقد انجبا سباعى وخليل وفاطمة وعابدة •

وكان وهدان طوال هذه السنوات خير فلاح فى القرية وربما
كان خير فلاح فى المنطقة فاستطاع ان يشتري اربعين فدانا كاملة •

— ١٧ —

(م ٢ - احلام فى الظهيرة)

فقد كان حريصا ان يشتري فى كل عام أرضا بما يفيض من ماله فلا ينكسر عنده مال الى عام قادم مرتثيا ان مستقبله ومستقبل اولاده جميعا هو هذه الأرض . ولكن عشرة افدنة من هذه الأربعين لها قصة انت بالغها .

ومع كل هذه الأرض التى اشتراها لم يعرف أحد عنه بخلا ولا هو قصر فى الانفاق على بنيه ولا هو كان شحيحا مع زوجه فما طلبت منه مطلباً الا كانت اجابة هذا المطلب هى أول شيء يمسارح اليه . لم ينس انها قبلته بذراع واحدة على غير غنى فما كان أبوه يملك غير أربعة افدنة استطاع ان يصل بها الى خمسة قبل موته وبالجهد الذى بذله وهدان فما كان أبوه ذا همة وما كان يعنيه ان تزيد أرضه بقدر ما كان يعنيه ان يجلس الى عبد الحميد ابو ديدة الخياط .

ولم يحاول وهدان وهو يجمع هذه الأرض ان يكون جشعا يهتبل الفرص ويشترى ممن تلم بهم الضوائق او تعترض حياتهم الكوارث ولم ينس اهل (الصالحه) قريتهم ان سليمان النواوى الذى يملك ستة افدنة من أجود اراضى القرية جمعها من تجارة القطن التى كان يارعا فيها كل البراعة ضارب يوما فى البورصة فاذا هو مدين دينا كبيرا وان كان لا يستغرق الأرض . وقصد عبد الحميد ابو ديدة الى وهدان واوعز اليه ان يشتري أرض سليمان فى هذه الفرصة ويفوز بها واذا بوهدان ينتفض عن انسان يعف ان يكون اخاه فريسته :

- اترضى لى هذا يا عم عبد الحميد ؟

– وماذا فيها يا وهدان يا بنى ٠٠٠ هو معذور ٠٠٠ ولا بد
ان يسدد الدين وجميع أصدقائه فى التجارة مضروبون معه ولا
طريق له الا بيع الأرض فلماذا لا تشتريها أنت ؟ ٠٠٠

– قسما بأهل بيتي جميعا لو كان سليمان هذا يهوديا لا أعرفه
ولا يعرفنى ولا نحن أبناء بلدة واحدة ما فعلتها فكيف وهو ابن
قريتنا نشانا نراه ويرانا وتزاور زوجته وزوجتى ويلعب أطفالى
مع أطفاله ٠٠ صل على النبى يا عم عبد الحميد ٠٠

– عليه الصلاة والسلام يا وهدان يا ابنى ولكن اليس هذا
الذى تذكره سببا أن تنقذه من أزمته ٠٠

– أياكون ما تشير به انقاذا أم اجهازا عليه ؟

– على الأقل ستكون أنت رحيما معه فى الشراء وتدفع له
ثمان الأرض دون أن تخسف بها سابع أرض كما يعرض عليه
حمدان أبو اسماعيل ٠

– ولا هذا ٠٠

– اذن فقد أضعت الرجل وأنت تحاول أن تنقذه ٠

– وما كنت لأفعل هذا أيضا ٠

– فماذا أنت فاعل ؟ ٠٠٠

– قم معى وسترى ٠٠

وحين استقر بهم المجلس عند سليمان قال سليمان دون ريث
من التفكير :

— الحمد لله انتك جئت يا وهذان ٠٠

— تحت امرك يا سليمان ٠٠

— والله لا يشتري الأرض الا انت ٠٠ لقد خسف حمدان ثمنها
الى المشر وأنا مضطر للبيع ولكنني رفضت ان ابيعها له من شدة
غيطي منه اما انت فأبيعك اياها بالثمن الذي عرضه واكون سعيدا ٠

— صل على النبي يا ابو داود ٠٠

— عليه الصلاة والسلام ٠٠ اتريد ان تنزل بها عن ذلك
ايضا ٠٠؟

— صل على النبي « آمال » ٠٠ خذ هذه الفلوس ٠٠

— ما هذه ٠٠ الا نتفق الاول ٠٠؟

— ولا نتفق ولا يحزنون خذ وصل على النبي ٠

— بكم تريد الفدان ٠٠؟

— لا اريده مطلقا ٠٠ لا اريده حتى ولو بعته لى بلا ثمن ٠

— فما هذه الفلوس ٠٠؟

— دينك ٠٠ اذهب فسدده ٠٠

— ماذا تقصد يا وهذان ٠٠؟

— ماذا جرى يا سليمان ، اكلاب مسعورة نحن حتى نتشيم
الضوائق تحيط بنا سنا فنجعل منها فرسا لنا ٠٠ لا يا سليمان ٠٠

لا عشنا ان كنا نفعل ذلك ٠: سدد دينك والتجارة يوم فى العالى
ويوم فى الواطى وان خاتك السوق مرة فمصييره ان يكرمك فى
المره القادمه ٠٠

- اما سبحان الله ٠٠ ولكننا لسنا اصدقاء ٠٠

- معارف ٠٠ وأولاد بلد واحده ووشنا فى وش بعضنا
البعض العمر كله ٠٠ وانا كنت ساشترى بضعة افدنة هذا العام
بهذا المال الفائض عندى فمادّا يجرى اذا اجلنا الشراء الى العام
القادم ٠٠

وصاح سليمان من الفرحة وكأنه يرى سحرا لا يصنعه احد من
ابناء الأرض ٠٠

- أهذا محقول ٠٠؟

- غير هذا هو الذى لا يعقل ٠٠ توكل على الله ٠٠ سلام
عليكم ٠٠

- انتظر أكتب لك ورقة ٠٠

- ولا ورقة ولا يحزنون ٠٠

- لا ٠٠ هذا ليس من حقه ٠٠

- انه مالى وانا حر فيه ٠٠

- اطال الله عمرك ولكنه ليس مالك انه مال أولادك وانت
أمين عليه ٠٠

- لا مسئولية على امام اولادى .. لقد ورثت عن جدهم
خمسة افدنة ولو كنت بيعتها لكان هذا من حقى ولكنى لم ابيعها
وزدت عليها ..

- اسمع من غير كثرة كلام . تاخذ الورقة او تاخذ الفلوس ؟
- هات الورقة ..

وهكذا لم يكن وهدان فى شرائه للأرض مسعورا ولا كان
نهازة فرس . ومادمتا قد رويينا قصته مع سليمان فمن حق القصة
أن نكملها . فقد سدد سليمان دينه وعمل فى التجارة وكسب فى
العام التالى كسبا يمكنه من سداد دين وهدان ولكنه لم يفعل . وانما
قصد الى وهدان ..

- لقد عملت فى معروفا مازالت الجهة تتحاكى به .
- يتبها لك ..

- اسمع .. انا كسبت هذا العام ولكنى مع ذلك لا استطيع
أن أرد اليك دينك ومن عمل معروفا فعليه أن يتمه فهل انت على
استعداد أن تتم معروفك ؟ ..

- اتمنه ان شاء الله ..

- تترك فلوسك للعام القادم ..

- أمرك ..

وانصرف وهدان ودار العام فى غمضة عين وإن كانت أيامه
كانت تمر ثقيلة أثقل من الأيام العادية فقد كان سباعى كلما خلا
بأبيه يقول له :

– لو كنت يا أبا اشتريت أرض سليمان لكان محصولها يكفي
لشراء نصفها على الأقل هذا العام •

ويصيح الأب في جزم آباء هذا الزمن :

– اخرس يا ولد ••

ويضطر الولد أن يخرس ثم ما يلبث أن يكرر جملة تلك
كلما امتد حديث الى محصول أو أرض أو شراء أو بيع ••

وكان الأب يحس حسرة أن ابنه يلومه ولم تكن الحسرة وليدة
اللوم وإنما كان باعثها أن ابنه سباعى على غير خلقه وأنه لا يعرف
معنى إلا ينتهز انسان ضائقة انسان أخيه ولا يعف عند مقدرة ولا
يتعالى عن خلق الذناب •

وكانت نبوية تهون عليه ما يتداوله من ألم لما جبل عليه ابنه
البكر • فكان يقول لنبوية :

– اخاف عليكم منه بعدى يا نبوية ••

– لا عشنا بعدك يا وهدان •• لا عشنا بعدك ••

– انه بلا قلب ••

– ابنك لا يمكن أن يكون بلا قلب ••

– اتصدقين أن الأبناء يرثون أخلاق آبائهم فيما يرثون
هيات ليست الأصلاب ولا الأرحام أمينة دائماً •• والذي لا يقدر
ما صنعه مع سليمان شخص يخشى منه يا نبوية ••

— اسمع يا وهدان علينا أن نحمل همهم ونحن أحياء أما من
بعدنا فعلى كل منهم أن يحمل هم نفسه ..

مر العام اذن وكان أثقل الأيام مروراً ثم جاء سليمان إلى
وهدان وكان ولداه جالسين معه ..

— السلام عليكم ..

— وعليكم السلام ..

.. — كل عام وأنت بخير ..

— وكل عام وأنت بخير يا سليمان ..

— قم يا عم هات الورقة التي عندك ..

— أحرك ..

وعاد وهدان بالورقة وأعطاهما لسليمان ..

— خذ يا عم .. ربنا يزيذك ..

— وأنت خذ هذه ..

— ماذا ؟ ..

— لقد تعلمنا القراءة معا في الكتاب اقرأ ..

وقرأ وهدان فوجد بالورقة عقد شراء باسمه لعشرة أفدنة
ملاصقة لأرضه ، وانتفض في جلسته ..

— وهل أنا مرابي يا سليمان ؟ ..

— اهتأ واسمع ..

— هدت ..

— فلوسك كانت جاهزة معى من السنة الماضية ولكنى
أحببت أن أرد جميلك قلت أتاجر لك بها فان كسبت فالمكسب لك وإن
خسرت أردتها اليك دون أن تعلم ، وقد كسبت وجاءنى جارك نجيب
الجلطة يريد أن يبيع أرضه لأن ابنه الذى أصبح مهندساً يريد أن
يبنى بها عمارة فى مصر .. وانظر الى الثمن تجده عادلاً لا ظلم
فيه .. استخرت الله واشتريت الأرض باسمك •

وانتصب سباعى واقفا وأهوى على يد سليمان يريد أن يقبلها
والت بوهدان غصبة أو شكت أن تضيع عليه فرحته بما صنع صديقه
.. ما سباعى هذا .. لا عفه عند مقدرة ولا كرامة عند فرحة ..
حسبى الله ونعم الوكيل ..

حسبى الله ونعم الوكيل ..

★ ★ ★

— ٤ —

فى هذه السنوات البلاء من حياة مصر كان يثبت فى بعض المناطق مجرم يثير الذعر حوله ينتمى هذا المجرم الى وجيه من وجهاء المنطقة بعقد شيطانى غير مكتوب ان يحمى الوجيه المجرم من الحكومة ويحمى المجرم املك الوجيه من المجرمين الاخرين . . . وشأن كل العقود الشيطانية يتجاوز مفعول العقد حدوده ويتمتر الوجيه على المجرم تسترا لو حاسبه عليه قانون العقوبات لأصدر عليه احكاما قاسية . . . وفى مقابل ذلك يصبح المجرم اداة يطمش وعدوان للوجيه يخيف به كل المقيمين حوله مجرمين كانوا او غير مجرمين . وما هو الا يسير زمن حتى تصبح اعمال الوجيه بواسطة مجرمه كلها اعتداء على حقوق الآخرين لأن سمعته وحدها كافية ان تذود عنه أى مجرم يفكر ان يمس حقوقه . ويصبح الريف غابة، السيادة فيها لمن لا ضمير له . وهذا نوع من الغابات فريد : فغاية الحيوان غابة تجمع مخلوقات بغير عقول ومن لا عقل له لا ضمير له فمن الطبيعى ان يكون الحكم فيها للأقوى ومن الطبيعى أيضا ان تكون الوحشية هى الدستور فبغيرها لمن تطعم الحيوانات ولن تجد ماكلها وهذا فى ذاته سبب كاف ان تستعمل قوتها لتعيش .

أما غابة الإنسان فهي بعيدة عن ذلك كل البعد فإذا كان الحيوان قد حرمه الله حق الاختيار فإنه سبحانه قد فرض على الإنسان هذا الحق بما وهبه من نعمة العقل ومن نعمة الرحمة ومن نعمة المشاعر الرقيقة ، وكان طبيعياً مادام العدل المطلق قد وهب للإنسان كل هذه الحقوق أن يفرض عليه واجب الأمانة التي عرضها على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ٠٠ وهو سبحانه حين حمّله هذه الأمانة الثقيلة ففرضها عليه حين اختار هو أن يقبلها فحين خلق الله آدم طلب إليه ألا يمس شجرة من الجنة ٠٠ وما شجرة في جنة عرضها السماوات والأرض ٠٠ فحين عصى آدم ربه اختار إذن أن يحمل الأمانة ٠٠ ان الإنسان كان ظلوماً وهكذا ظل .

قليل من وجهاء الريف من كان يضع تحت حمايته مجرماً أو عدداً من المجرمين ففي كل منطقة قد تجد واحداً من هؤلاء الوجهاء غير الوجهاء في الدنيا أو في الآخرة وغالباً ما تكون المناطق نقية منهم كل النقاء تسمع عنهم في الجهات المجاورة ولكنها لا تعرفهم ولا تشتبه أن تعرفهم . بل ان الجميع يدعو الله ان يبعدهم عنهم ويعمى عيونهم عن بلادهم وأماكنهم وأرواحهم . فهم يعرفون عنهم كل شيء معرفة يقين . ويعرفون أنهم متوخشون يستأجرهم سادتهم لقتل من يجرؤ أن يناقشهم في أمر أو يتوانى في تنفيذ إشارة أصبح تصدر عن ذلك الوجيه غير الوجيه .

وكانت بلدة الصالحة متطهرة من هذا الوباء وكانت كل صلتهم به ما يسمعون عن أبو سريع الفرحان ذلك المجرم الدموي الذي يأوى بعصابته الى ظل عز الدين بك الخولي عضو مجلس النواب عن الدائرة التي تتبعها الصالحة . وكانت المصالحمة ترد

عن نفسها العدوان بأن تعطى أصواتها لعز الدين متظاهرة بالطوعية حتى لا يكون هناك أى مبرر أن يقترب منها أبو سريع .
والبلدة لم تكن متحمسة لمرشح آخر فهي لا تجد بأسا أن تنتخب حامى المجرمين هذا مرتئية أن فيما تفعله كياسة لا تضيرها .

وفى يوم كان وهدان جالسا الى اسرته جميعا اما الأم فقد كانت تصلى وكان وهدان يقرأ القرآن وكانت فاطمة تقرأ فى كتاب اشتراه لها اخوها خليل وعابده تنظسر الى الجميع وترى فى وجوههم القلق الشديد الذى يحاول كل منهم أن يخفيه بشتى وسائل حتى لا يثير بقلقه قلق الآخرين . ولم يكن عجيبا أن يتولاهم هذا القلق . فخليل هو أمهم أن يصبح لهم شأن فى حياة العلم بعد أن ترك سباعى المدرسة وهو بعد طفل فى العاشرة فلم يتعلم منها الا قراءة وكتابة توشك أن تكون عاجزة . اما خليل فقد مضى فى التعليم مضيا موفقا وكان متقدما فى دراسته دائما . وهم اليوم ينتظرون نتيجة التوجيهية التى حملت اسمها هذا لأنها تعطى لجائزها الحق أن يتوجه فى التعليم الجامعى الى الكلية التى يختارها فهي نهاية التعليم العام أو هى بلغة وزارة المعارف نهاية التعليم الثانوى .

كان الأب والأم والابنتان جميعا فى هذا القلق الذى تشعر به عابده وبراء على وجوههم . وكان سباعى كشائه بعيدا عن قلق الأسرة وعن اجتماعها هذا بل هو حتى لم يكن يدري أن نتيجة شهادة التوجيهية ستظهر فى هذا اليوم فهو دائما فى شأن يظن انه يغنيه وهو دائما بعيد عن اسرته ومشاعرها بما يشغل به نفسه من شواغل منها الأرض والمحصول ومنها غير ذلك .

كان فى يومه هذا يلبى دعوة على الغداء دعاه اليها شعبان
 الخولى بن عز الدين الخولى الذى تعرف به منذ قريب فى مقهى
 بالمركز . و اراد شعبان ان يظهر ابن وهدان على القصر الذى ابتناه
 ابوه بقريتهم العدو و اراد أيضا ان تصل بينه وبين ابن الرجل
 الذى يعتبر اغنى من فى الصالحة أسرة . هتدافه فقد كان شعبان
 أيضا ممن نكصوا عن التعليم شأن سباعى . وكما يلتقى الفلاح
 بالفلاح فيتناجيان ويتعارفان ويجدان شيئا دائما يقولانه يلتقى
 الغريبان فيتناجيان ويتعارفان ويجدان شيئا يقولانه فيصبحان
 صديقين . ولكن لابد لنا ان نكون منصفين فان يكن شعبان وسباعى
 قد فشلا فى المضى قدما على درج التعليم فقد كان كل منهما فلاحا
 من الطبقة الاولى يعرف ما تحتاجه الأرض ويقدمه لها فى كرم
 ومهارة وحذق واثقين ان الأرض خير شيء يرد ما يأخذ اضعافا
 مضاعفة . وقد كان وهدان يجد فى قدرة سباعى الفائقة على
 رعاية شئون الأرض ما يعزيه عما جبل عليه من خلق لا يرضيه .
 ولكنه شأن الناس أجمعين كان يتلمس لطف الله فيما يصاب به وقد
 وجد لطفه سبحانه فى براعة سباعى الزراعية وراح يقول لنفسه
 ربما اراد سبحانه ان يجعل منه حارسا على الأرض يرعاها من
 بعدى لأخوته عني . وان كانت غصة تلوى عزاءه بعض الشيء . .
 اتراه سيحرسها أم سينهشها . الله وحده يتولى عباده بما
 يرضاه .

كان سباعى اذن يلبى دعوة شعبان وقبل ان يأتى الغداء
 جلس الضيفان فى غرفة الاستقبال الواسعة الأرجاء وقال سباعى :

— ما سمعنا عن سعادة البك والدك ولا عن سعادتك الا كل

كرم .

- أرايت بخلا ؟
- نعم رايت
- ولكن الأكل لم يظهر بعد
- قطعة جبن تنبىء عن الكرم فى كثير من الأحيان •
- فماذا تقصد ؟
- انتغدى وحدنا ؟!
- اه •• انا أردت الا يشاركنا احد الحديث •
- وهل يحلو الحديث الا باللمة •
- ومن تريد •
- اين أبو سريع •
- والله هو هنا اليوم •
- فلماذا لم تدعه معنا •
- ادعوه ان بيته قريب •
- لابد ان يكون بيته قريبا •
- وضحك شعبان وقال سباعى :
- ادعه يا شعبان بك وادع رجاله واللقمة الهنية تكفى مية •

وجاء أبو سريع وعرف أن الذي دعاه هو سباعي وحمد
هذا له فما كان يقتاول طعامه على مائدة عز الدين بلك إلا عندما
يكون هناك أمر جليل يريد أن يكلفه به أما شعبان فما كان يهتم
بدعوته مكتفيا بأن يعطيه من حين لآخر بعض المال .

★ ★ ★

حين عاد سباعي الى البيت وجد الكثيرين امام باباه ووجد
الدوار مبتسما فرحا . وعجب . . انه هو فرحان نعم أن تغدى مع
شعبان وأبو سريع ورجال أبو سريع ولكن ما هذا الفرح في
بيتهم . وعرف أن أخاه حصل على التوجيهية والعجيب أو ربما
ليس عجيبا أن يشعر بالفرح . فخليل بهذا قد أصبح من أهل الكتب
وليس لهؤلاء صبر على الفلاحة . لقد تأكد في لحظة علمه أن أخاه
ذاهب الى الجامعة والى كلية الطب . . أن أرض أبيه أصبحت
له وحده من بعده .

وعجب الأب من فرحة سباعي وربما خامر ذهنه ما اختلط
بنفس سباعي فقد علمته الحياة أن يصل من النفوس الى أبعد
أعماقها . ولكنه بمشاعر الأب الذي يمتزج حب الأبناء مع الدماء
فيها نفى أن يبلغ الجشع بأبنة البكر هذا المدى . . وأبى إلا أن
يسعد في يومه هذا سعادة لا يقف بها عارض من أى مكان سواء
كان هذا العارض من داخل النفوس أو من خارجها .

★ ★ ★

— ٥ —

حين عرفت وهمدان من سباعى أنه ذنبا شعبان وأبو سريع
ومجرميه الى الغداء بالبيت غضب كل الغضب .

— هذا بيت عاش طاهرا واحب ان يظل طاهرا .

وكان سباعى فى دهشة من أمر ابيه فقد كان يظن انه سيفرح
غاية الفرح ان ابن عز الدين يك قبل الغداء عنده .

— يا ابا انه بن عز الدين بك .

وازداد ذهول سباعى وابوه يقول له :

— طغ . . . وما عز الدين بك بتاعك هذا . .

— يا ابا عز الدين بك كبير الناحية .

— بالاجرام والقتل والاعتداء على حرمان الله والناس .

— رجل عترة .

— ٢٢ —

(م ٢ - احلام فى الظهيرة)

- عند من لا يخافون الله أمثالك • انما فى الحقيقة هو ليس
رجلا اصلا ..

- ليس رجلا ..

- الرجل هو الذى يشق الحياة الى الآخرة بطاعة الله
لا بعضيانه وباحياء البشر لا بقتلهم ومن قتل انسانا واحدا فهو
عند الله كمن قتل الناس جميعا •

- انظر يا ابنى الى الثروة التى كونها •

- بسيطة

- مائتا فدان من لا شىء بسيطة

- والف والفان بسيطة مادامت وسيلته القاء الذعر فى قلوب
الناس والاستيلاء على حقوقهم بالباطل •

- على كل حال يا ابا انا لم ادعه •

- دعوت ابنه ودعوت المجرمين الذين يعملون لحسابه

- اريد ان يكون لنا قيمة فى البلدة وفى الناحية

- فشرت انت وضيوفك جميعا • ان قيمتنا فى قلوب الناس
اعظم منهم الف مرة

- يا ابا انه نائب الدائرة

- بالربح والقهر وليس بالاختيار ، ولو ملك الناس امر
انفسهم دون خوف لأختاروا أى شخص يمثلهم فيكون تمثيله لهم
شرقا وقيمة • • يختارون متعلما او يختارون شريفا لا لصا ولا
قاتلا • • •

- فما ل احترام الناس هذا

- الا تعرفه وتعرف من أين يصدر من نفوسهم

- انهم يهابونه

- انهم يخافونه • وانهم لا يحترمونه • انما الاحترام هو ذلك الذى تنطوى عليه نفوسهم بحريتها المطلقة وليس بما يخشونه منه اذا هم حجبوا عنه احترامهم • ان اخاك خليل محترم بعلمه فى بلدتنا أكثر من عز الدين هذا الذى تتشرف بمعرفة ابنه وبدعوته الى الغداء عندك

- خليل اخى • لا يا ابا شرع الله عند غيرك

- بل هذا هو شرع الله والناس اما شرعك انت فشرع الشيطان
المسعود من بنى آدم •

- والآن ماذا ترى

- وهل تركت لى رأيا •• لقد دعوت فعلا ولا أحب ان اجعل
منك طفلا امام الناس

- مصيبة سوداء لو عرف عز الدين بك رأيك فيه

- او يشرفك هذا •• نعم فعلا مصيبة سوداء •• ومعرفته
مصيبة سوداء ايضا ولهذا كنت ارجو ان اقضى الايام الباقية لى
لا اعرفه ولا يعرفنى

- الحق على يا ابا

– حين اموت اخاف ان يكون عز الدين وأمثاله هم مثلك
الأعلى

واوشك سباعى ان يهتف : ياليت ، ولكنه كتمها وسأل أباه :

– اتحضر معنا الغداء يا أبا

– وأنا ما شأنى

– انه بيتك

– بل بيتك مادمت دعوت فيه فأنت تعرف انه بيتك وان لك
هذا الحق لا انازعك فيه وانما اغضبني اختيارك لمديوك • ولكن
الأمر لله ...

حين استقر المقام بشعبان ورجال أبيه فى الدوار أصبح
الدوار فجأة خلية نحل وراح كل من يعمل فى البيت يعد العدة
للغداء • وتسامع أهل القرية جميعا بهذه الدعوة فتولاهم نحو
سباعى ذلك الشعور العجيب الذى يجمع بين الخوف والرغبة
والاحترام المرتعد • ولم يحاولوا أن يضعوا الحدود الفاصلة بين
هذا النوع من الاحترام وبين ما يكونه لوهدان من احترام فيه
حب وفيه تقارب ومودة • • لقد تعودوا أن يكتموا ما يعتمل فى
نفوسهم نحو عز الدين ومجرميهِ ، وأصبحت هذه العادة منهم
طبيعة لا تناقش ولا يحل مداها انسان ولا يحاول أحد أن يتتبع
جنورها • هم فقط أحسوا أن سباعى أصبح شخصا مهما لانه دعا
ابن عز الدين وأبو سريع ورجال أبو سريع وقبلوا الدعوة •

تناولوا الغداء وضممتهم حجرة الاستقبال في الدوار مرة أخرى وقد كان الدوار شأن أمثاله في بيوت الأعيان يجيدا عن الدار موصولا بها في وقت مما • فهو جلسة الرجال وليس له بصرم البيت وحريمه صلة إلا أن يأتيهم منه الطعم والمغرب ثم لا اتصال •

قال شعبان وقد انتفض على الكنية مزهوا بمكانة أبيه :

— مبسوط يا سباعي

— رضا والحمد لله

— الحمد لله على كل حال ولكن لماذا الرضا

— يا سلام اكون مشرفا عندي أنت وهؤلاء الرجال السباع ولا يكون الحال رضا •
وضحك الجميع •

وقال أبو سريع معلقا على السباع :

— يا سباعي

وعلا الضحك مرة أخرى • أما رجال أبو سريع فلأنهم لا بد لهم أن يضحكوا مادام أبو سريع يضحك • وأما شعبان وسباعي فليفيهما أبو سريع أنهما فطنا إلى قفشته وتلاعبه بالسباع وسباعي وسرعة خاطره أيضا • ولكن شعبان يقول مواصلا حديثه :

— يا حبيبي أنا أسألك هل أنت مبسوط في حياتك

— وهي أيضا رضا والحمد لله

— لماذا

– وماذا أريد أحسن من هذا أكل شارب نائم أشوف أرضى
أبى وانتج منها أحسن محصول ماذا أريد أحسن من هذا

– وهل هذه عيشة

– وما العيشة ؟

– تعال معى الى مصر وانا أعرفك العيشة على حقيقتها

– يا سلام !

– رحى مصر ؟

– طبعا

– اين ذهبت ؟

– زرت المشايخ وزرت أقاربنا هناك وأصدقاءنا ودخلت
السينما ورحى الى المسارح وشفت كل حاجة فى مصر

– دخلت كباريه ؟

– كبا ٠٠٠ وماذا ؟

– كباريه

– أه ٠٠ لا ٠٠ سمعت عنه فقط

– سمعت عن ماذا ؟

– يقولون عن الابرج وشى آخر اسمه الاريزونا

– يقولون

- سمعت

- ولم تر ١٩!

- الكذب خيبة ٠٠ لا لم ار

- فانت لم تر مصر

- اهذه هي مصر

- عندى انا ٠٠ انا يا بنى حين اذهب الى مصر لا شان لى
لا باقارب ولا بغيره ٠ كم صاحب اعرفهم اصل الى بيتنا هناك
وانور عليهم بالتليفون وعينك ما تشوف الا النور ٠

- واين هذا النور

- فى الاوبرج

- اتذهب الى الاوبرج

- ولا احب غيره ٠٠ جريت كل كباريهات مصر ٠ لم يملأ.
عينى الا الأوبرج ٠ الملك يذهب الى هناك

- شفته ؟

- مرة

- واحدة ؟

- كفاية

- ما هناك -

- سمين وضخم .. انما الحق له هيبة

- ملك .. ملك يا عم ملك .. الامور عندنا يهز المعيرية شرف
ملك ماذا يفعل

- ليس هذا هو المهم

- الملك ليس مهما !!

- هناك ليس مهما بالمرّة .. المهم أشياء أخرى

- مثل ماذا

- اسمع يا عم انا رجل أحب العمل ولا أحب الكلا

- ولكننا الآن لا نملك الا الكلام

- فشر ونملك العمل أيضا

- كيف

- انا مسافر الخميس القادم .. تجيء معي ؟

- أجيء

- صحيح ؟

- وهل الاقوى فرصة أحسن من هذه

- اتفقنا

- اتفقنا

★ ★ ★

حوت غرفة الاستقبال فى المساء قوما آخرين فقد تصدرها
وهذان كشانه كل ليلة والتأم حوله اصدقاء جلسته يكادون لا يتغيرون
فى ليلة عن الأخرى فغالبيهم تعود هذه الجلسة والحديث بينهم
متصل منذ سنوات وفى أيام أم كلثوم يعدون العدة لسماعها فى
راديو وهذان وقد كان الاستماع الى الراديو لمدة طويلة يحتاج ان
يذهب احدهم بحماره الى المركز فى اليوم السابق لبعلا البطارية
الضخمة فهى بطارية سيارة ويعود بها فى اليوم التالى ، ولم تكن
أم كلثوم تغنى فى هذه الليلة وانما هو الحديث ٠٠ حديث فى كل
شئ ٠ وأحيانا كان يتم بالجلسة اصدقاء غير منتظمين اما ان
يكونوا اصحاب مصلحة يريدون قضاءها مع وهذان أو مع أحد
جليسائه أو يكون قدومهم مجرد السمر والحديث ٠ وفى هذه الليلة
جاء الى الجلسة عبد الحميد أبو ديدة الذى توقف عن العمل
كخياط للقرية تاركا الصنعة لابنه بعد أن أوهنه الكبر ٠ وأصبح
لا يخرج من البيت الا فى القليل النادر وكانت تنعقد فى بيته هو
ايضا جلسة مثل جلسة وهذان هذه ٠ فلم يكن غربيا ان يكون المامه
بدوار وهذان نادرا وقد أوسعه وهذان ترحيبا ٠ وقد حرص سباعى
أن يحضر الجلسة ليرى نفسه موضع الاكبار والتقدير بعد دعوة
الغداء التى عرفت القرية جميعا بشأنها ٠ وما هذا بعجيب فان أى
دعوة فى القرية هى حديث القرية جميعا ٠ ولكن مجيء شعبان
ورجاله أمر يعرف سباعى أنه من القرية كلها من الأعماق ٠ وتبها
سباعى لسماع كلمات التقدير على دعوته تلك ٠ وقد رأى فعلا
نظرات الاحترام ماثلة فى أعين معظم أهل الندوة وحين بدأ الحديث
بدأ بطبيعة الحال عن مجيء شعبان وأبو سريع فاذا وهذان يقول
فى هدوء وفى حسم :

— اذا تكلمتم فى شأن هذه الدعوة فاصبحوا لى ان انصرف ٠

وانقمع الحميد عنها تماما واحس سباعى لذعة اسف انه لم
يتمتع بما كان يهفو الى التمتع به . والتوى الكلام الى غير هذا مما
تعمدوا ان يأخذوا فيه . وما هى الا بعض الساعة حتى استأذن
عبد الحميد ابو بيده وقال وهدان :

— لماذا يا عم عبد الحميد . لم نشبع منك يا رجل

— عمك كبر يا وهدان . . . انا حتى فى دارى اترك ضيوفى
كل ليلة يكملون حديثهم واقوم انا ويعذروننى يا ابنى . . كبرنا
يا وهدان

— انت الخير والبركة . اوصل عمك عبد الحميد الى بيته يا
سباعى

ويقول عبد الحميد فى صوت من يرغب فى هذا التكريم الذى
تعود عليه والذى جاء فى هذه المرة املا ان يحدث

— وما لزوم القعب

— تعبك راحة يا عم عبد الحميد

ويصيح سباعى راجيا ان يسمع من عبد الحميد ما فوته ابوه
عليه من تكريم

— تحت امرك يا عم عبد الحميد

وما يكاد الطريق يخلو بالاثنتين حتى يقول عبد الحميد :

— لقد جئت اليوم خصيصا من اجل خلوتنا هذه

- خيرا يا عم عبد الحميد

- انت دعوت اليوم شعبان

- حصل

- اخطب اخته

- ماذا ؟!

- ما سمعت

- وهل هذا معقول يا عم عبد الحميد • بنت البك تقبلنى انا !

- وانت ما عيبك ؟!

- على الأقل يقولون لم يتعلم

- وهل تعلم ابوها أو اخوها أو تعلمت هى انما هما كلمتان

عرفت بهما كيف تفك الخط

- انا والحمد لله مستور فى القرية ولكن بالنسبة لعز الدين

بك انا فقير

- ولا فقير ولا حاجة

- كيف •• واين ما املك مما يملكون • وايجاراته من الاوقاف

وحدها تدر عليه دخلا قدر دخلنا مائة مرة أو قل مائتين

- اسمع ما اقول لك •• اخطب اخته

— ان رفضونى ستكون سبه

— لن يرفضوك

— وانت كيف عرفت

— هذا شأنى

— فقط قل من اين عرفت

— من سننى الكبيرة ٠٠ من الزمن ٠٠ من الناس الذين
عرفتهم ٠٠ اسمع كلامى يا ولد ٠٠ انا فى مكان جدك ومن سنه
ايضا

— اذا تمت هذه الزيجة يا عم عبد الحميد لا ادرى كيف
اكافئك

— انت يا ولد تكافئنى ٠٠ انت يا ولد ابن وهدان وابو وهدان
عاش عمره كله على باب دكانى ، اتظن اننى جئت اليك لكى تكافئنى
وماذا اصنع بمكافاتك هل ساخذها معى الى الآخرة • ان اردت ان
تكافئنى حقاً فانى اوصيك بابنى حسن فهو قليل الحيلة وانا لم
اترك الا ثلاثة أفدنة دفعت فيها عينى وانكفائى على ماكينة الخياطة
عشرات السنين

— ربنا يطيل عمرك يا عم عبد الحميد وخسن فى عينى
الاثنين

— يكفينى هذا • ارجع انت • سلام عليكم

★ ★ ★

- ٦ -

لا يكون الحلم الا من تجارب الانسان ومن سابق خبرته
فالأحلام على هذائها وبعدها عن العقل تخاطب الناس على قدر
خبراتهم • هي قد تخلط هذه الخبرة وتقلب موازينها وتجعل اعاليها
اسافلها واسافلها اعاليها انما تظل بالنسبة للانسان الذى تعرض
له فى حدود ما عرف من واقع الحياة ، ولذلك يستطيع المرء غالبا
ان يعبر عنها ويروى ما عرض له فى احلامه اذا كان منتظما او
يعزوه الى خرف النوم او فقد انتظامه وتتابعه •

اما هذا الذى يراه سباعى فلم يخطر له على حلم ابدا
وما تصور ان تضم جنبات الحياة شيئا مثل هذا الذى يشاهده من
راقصات الاوبرج • عرايا صدورهن او عرايا جسومهن جميعا
الا موقعا او موقعين الغطاء فيهما اخبث من العرى وما ان افاق
هونا من ذهوله حتى التفت الى شعبان :

- اهؤلاء نسوان

وانفجر شعبان فى قهقهة عالية ليست غريبة ممن يحويهم
هذا المكان وقال :

— طيعا نسوان

وظل سباعى فى بهره وهو يقول :

— مثل نسوان البلد عندنا

واستمرت القهقهة يختطف من شهيقها الاجابة

— ماذا ترى انت ؟

ويقول سباعى فى جدية حاسمة لا اثر فيها لمزاج :

— ألسوان عندنا خفراء

ويقول شعبان بعد ان هدأت ضحكاته

— لعلك لم تراهن الا فى مواطن الجد

ويقول سباعى فى جديته لا يزال

— رأيتهن فى كل المواطن ٠٠ خفراء ٠٠ خفراء فى اكثر
المواطن خلاعة

— لعلك لم تحسن الاختيار

— وهل هى واحسدة ٠٠ انهن كثيرات عرفتهن ٠٠ وكلهن
خفراء

— فما رأيك انك لم تر شيئا بعد

- ما أرى يكفى ٠٠ يا رجل انا اتعجب من نفسى كيف لم
يغم على

- لا ٠٠ اجمد ٠٠ الليل مازال طويلا امامنا ٠٠

- وماذا سنعمل فيه اكثر من هذا

- هذا شأنى

- انا تحت امرك ٠٠ عبدك وبين يديك

- اولا تشرب هذا الكأس

- وما له اشره ٠٠ هه بسم الله الشافى المعافى

وهم ان يقلب الكأس جميعه فى فمه مرة واحدة ولكن شعبان
اسرع فامسك بيده

- لا ٠٠ انتظر ٠٠ ليس هكذا

- فكيف اذن

- رشفة رشفة ٠٠ اتريد ان تنقلب منا فى الابرج

- امرك

- حين ينتهى الكأس او الكأسان ٠٠ وليس اكثر سترى ما
لم تره حتى الآن ٠٠

وانتهى سباعى من شرب الكاسين فى بطنه الجاهل الذى لاخبرة
له وبدأت المناظر التى يراها تصل الى اعماق كيانه وتضاعدت

الحميا الى مكانن الشعور فيه فاذا هو يعيش حياة غير الحياة حتى
ليحسب انه لم يولد الا فى هذه اللحظة وحين ادرك شعبان ما صار
اليه حال صديقه سآله :

— وما رأيك اذا قلت لك انك ستقضى الليلة مع واحدة من
أولئك الراقصات ..

وفى وقار متعنع سآله :

— وماذا أصنع معها

وحينئذ انفجر شعبان مرة أخرى فى قهقهة عالية وراح يقف
ثم يقعد والقهقهة على حالها حتى اذا استطاع أن يلتقط أنفاسه قال
لسباعى :

— كان يوم. هنا يوم عرفتك

أما اصحاب شعبان فكانا اثنين وقد اتخذ كلاهما موقف
المشاهد سعيدين غاية السعادة بهذا المخلوق الجديد على المكان
والجديد على هذه الحياة جميعا ولكنه عندما سأل شعبان سؤاله
الأخير هذا كان أشد صغبا من شعبان وسأله أحدهما وكان شعبان
يدعوه كريم :

— ألم تقل انك عرفت نسوان كثيرات فى البلد ..

وفى نفس النغمة الوقور المتعنتة قال سباعى :

— ياسى كريم افندى اسم الله على مقامك النسوان اللواتى
عرفتهن شىء والنسوة هنا شىء آخر بالمرة لم يرد صنفه على
مطلقا ولم يخطر لى على بال أن فى العالم نسوان بهذا الشكل ..
بالتأكيد هؤلاء صنف آخر من الناس لا أعرفه أنا ولا أبى

وتتم الليلة كما ينبغي أن تتم مثل هذه الليالي ويحس سباعى انه بهذه الليلة اصبح من طبقة اخرى غير طبقة اهله ولكن العجيب ان سباعى مع كل هذه المتعة التى تشعر بها والتى اوغلت فى العميق من كيانه كان يدرك ان مثل هذه الليالي انما هى لهو يتمتع بها من يجبها ليلة كل شهر او ليلتين ولكنها لا يمكن ان تكون حياة باكملها كما كان يعتبرها شعبان . كان الأمر بين الاثنين مختلفا كل الاختلاف فقد كان شعبان لا يريد من الحياة الا هذه الحياة . وكان عمله فى الأرض عمل مرغم لا راغب مدركا ان اباه سينضب عليه موارد المال اذا هو لم يقوم بواجبه كفلاح يعينه على زراعة الأرض الواسعة بما يستأجر من الاوقاف . اما سباعى فقد كان يرى فى الزراعة حياته ويرى فى مثل هذه الليلة لهوه .

كان من الطبيعى ان تتولد العلاقة بين شعبان وسباعى وتكاثرت الزيارات بينهما . وفى يوم حزم سباعى أمره بعد أن فكر وأطال التفكير وتدبر الأمر مع نفسه فأحكم التدبير وقصد الى شعبان فى بيت ابيه .

— أنا احببتك حبا لا تدري قدره

— هذه مقدمة لشيء تريد أن تقوله

— اى نعم

— قل

— اريد ان اكون قريبك وصاحبك

— فهمت

- وما رأيك
- لابد ان اتأكد من صحة فهمى اولا
- انت تفهمها وهى طائفة
- يكون احسن لو قعدت
- اخطب اليك المست اختك قدرية
- هل شففتها
- شففتك انت
- على كل حال اسأل أبى
- طبعا
- ولكن لابد ان تشوفها
- ومن غير شوف
- لابد
- امرك ٠٠٠ كيف ؟
- هذا امر ميسور ٠ والحقيقة انا افضل ان تشوفها قبل ان
أكلم أبى
- كيف ؟
- حتى يتكلم أبوك بعد ذلك وتجربى الأمور فى طريقها الطبيعى

- ولكن معنى كلامك انك لا ترفضنى

- انا لا املك الرفض او القبول

- اعرف ذلك ولكن معنى ان تسمح لى برؤية الست اخذك ان
الامر ليس بعيد الاحتمال

وتنبه شعبان الى الموقف وسارع يقول :

- انا لا استطيع ان اقول شيئا مطلقا . وانا اسمح لك برؤية
اختى لانى اعتبرك اخا . واحب اذا فاتحت ابى فى هذا الموضوع
ان اكون واثقا انك جاد فيه . لأن التقدم منك ثم الرجوع مسألة قد
تسيل فيها دماء

- انا اعرف تماما وظيفة ابو سريع عنديكم . ولا احب ان اكون
انا او يكون ابى من بعض مهام وظيفته

- اذن تراها

- ياليت .. متى ؟

- الآن

- كيف ؟

- اسمع .. اخرج من الباب الامامى قدام الخدم ولف وعد
لى من باب الشرفة ..

- امرك ..

وخرج سباعى وعاد وفتح شعبان حجرة مجاورة وأدخله فيها:

— سأنادى قدرية وأنت تستطيع أن تراها من هنا وسأجعلها
تقعد بحيث لا تراك فحين تراها وتسمعها روح الى بيتك من هذا
الباب الذى يخرج من الشرفة الى الحديقة الى الخارج .

ووجع سباعى قليلا وقال :

— وكيف سأقول لك انى وافقت ؟؟

— قلها بكرة . لا أريد أن اعرف رأيك اليوم على كل حال .

— أمرك .

ودخل سباعى الحجرة وأبقى شعبان بابها نصف مفتوح حتى
إذا رآته قدرية حسبت أنه نصف مقفل وأنه ترك هكذا عن ايمال
لا عن عمد .

ونادى شعبان من بهو البيت الأسفل :

— قدرية . قدرية .

— نعم يا شعبان فيه حاجة ؟؟

وأطلت عليه من أعلى فقال :

— لماذا تصنعين ؟

— لا شيء . اسمع الفونوغراف .

— أنا زهقان . لماذا لا تحضرين الكوتشينة وتجيبين نتسلى؟

— حاضر ٠٠ جاية ٠٠

وجاءت وراها سباعى وفهم كل شيء ٠٠

★ ★ ★

هى الشتيض الكامل للنسوة اللواتى خبلن عقله بجمالهن فى الكباريه هى الطرف الآخر من جمال الخليقة ٠٠ اذا كان سبحانه قد خلق النسوة الجميلات ليرى عباده بديع صنعه فهو سبحانه جلت قدرته قد خلقها ليعرف عباده شديد سخطه ٠٠ اذا كان هناك من لا يصدق انه سبحانه قادر على خلق الجنة والجحيم فليضع قدرية الى جانب أى جميلة من جميلات أى مكان سواء كان هذا المكان هو الأوبرج أو حتى قرية الصالحة ٠٠ وحينئذ ستمثل له فى الفتاة الطبيعية الجنة كل الجنة وفى قدرية الجحيم غاية الجحيم . سبحانه إنه على كل شيء قدير ٠٠

لهذا قال له عبد الحميد أبو ديدة أخطبها ولهذا لم يرفض شعبان فكرة زواجه بها رفضا قاطعا من أول وهلة وإن كان قد دهش من رد الفعل الذى استقبل به شعبان طلبه ، وإن كان قد ذهل لأن شعبان جعل الأمر قابلا للاهتمام وإن كان قد ازداد ذهوله حين وجده يسارع الى إتاحة الفرصة له أن يرى اخته ، فإن الدهشة والذهول الآن لا مكان لهما فهو بالنسبة الى الحالة التى رآها فرصة لا تعوض لعز الدين بك ٠٠ فلا شك أن أباهما وأمهها وأخاها لم يكونوا يأملون أن تتزوج أكثر من عامل زراعة فى أملاكهم ويكون العامل مظلوما .

كيف استطاع فمها أن يكون بهذه السعة وكيف استطاع انفها أن ينفرش لينال من وجنتيها — اذا كان لها وجنتان — كل هذه

المساحة ٠٠ وكيف استطاع هذا الوجه المسحوب كعلامة تعجب أن يسع كل هذا القم وكل هذا الأنف ٠٠ وهى تغطى شعرها بمنسديل ولكنه شعر متمرد صاحب يرفض المنديل ويقذف به الى أعلى ليجعل منه طرطورا ٠ وكل هذا يهون اذا تركز البصر من الناظر على ذقنها انه مقذوف الى أعلى يوشك أن يفلق القم وربما كان هذا هو السبب فى نحافتها المفرطة ٠٠ فلا شك أن فيها يجد مشقة عاتية فى أن يلقف اللقمات ٠٠

لقد وعى سباعى قبح الفتاة وعيا كاملا ولكن العجيب فى أمره أنه ازداد اصرارا على الزواج بها فقد أدرك لحظة رآها أن الزواج بينهما متكافئ بل أن أسرتها هى الكاسنية فيه لأنهم لا يعرفون ما يقكر فيه هو ٠٠ الزواج متكافئ لا شك ٠٠ هى قبيحة كل القبح وهو فقير بعض الفقر ٠٠ فهو مقبل اذن على الزواج فى عزم وإصرار ازدادا ولم ينقصا ٠٠ وهو فى اقباله هذا غير مرغم ولا مضطر فانه يستطيع اذا لم يكن يريد للزواج أن يتم أن يذهب من غده الى شعبان ويحدثه فى حديث آخر غير هذا وسيقهم شعبان وسيعذره ٠٠ فهو مصمم ٠٠ وهو مصمم أيضا أن يكلم شعبان أباه حتى يكون وهذان مضطرا لاتمام الزواج ، وقد كان سباعى مقدرا لهذا الأمر منذ دبر أمره قبل أن يفتح شعبان فى شأن الخطبة ٠ فهو يعلم حرص أبيه وهذان على أن تعيش أسرته بعيدة عن كل المشاكل فاذا هو امتنع عن اتمام الخطبة فالويل الآخذ والانتقام الويل ٠٠

وقد كان سباعى واثقا انه حين يطلب من أبيه أن يخطب له ابنة عز الدين سيرفض رفضا قاطعا كما كان واثقا أنه سيقبل أن يخطبها له على رغم أنه اذا أخبره أن شعبان فاتح أباه فعلا فى الأمر وأنه قبل ٠٠ قدر سباعى هذا جميعا وأقدم على هذا الحديث مع شعبان ٠٠٠

وفى الصباح الباكر كان سباعى واقفا بجانب شعبان فى
الغيط :
- متى ترد على ؟

ونظر اليه شعبان مليا ثم قال :
- تعال الليلة فى البيت ..

★ ★ ★

انتظر سباعى حتى صبحا أبوه من القيلولة وتوجها وهلى
صلاة العصر واستقرت به الجلسة على الأريكة وبجانبه نبوية ،
وكان وهدان منشرح الصدر فهو يقول تلك الجملة التى كثيرا
ما يريدها :

- لقد كان قطع ذراعى بركة .. تزوجت به نبوية بعد أن
تأكدت من قطعه .. انها تحببني لشخصى وأعفانى الله من غسل
ذراعين فى كل وضوء مكتفيا بذراع واحدة .

وضحكت نبوية وهى تقول :

- أما زلت تذكر زواجنا .. قد أن الأوان أن نفكر فى زواج
أبنائنا ..

وقال وهدان :

- ما أحب هذا الى ..

واندفع سباعى الذى كان يتريص بالحديث :

- صحيح ياأبا ..؟

- صحيح جدا ..

- إذن فأنا أريد أن تخطب لى ..

— من ٠٠٢٩ —

— فخرية بنت عز الدين بك الخولى ٠٠

وهب الأب واقفا :

— من ٠٠٢٩ —

وبنت نبوية صدرها وهى تقول :

— من ٠٠٢٩ —

وقال سباعى :

— ماذا يا ايا ٠٠ ماذا يالامه ٠٠

والجمت الصدمة لسان وهدان وذهلت الأم بعض الحين ثم

قالت :

— ولكن يا ابنى ٠٠ هل ٠٠ هل يقبلون ٠٠؟

وابقسم سباعى وهو يقول :

— لقد قبلوا فعلا ٠٠

وصاح الأب مرة أخرى وهو مايزل واقفا :

— ماذا ٠٠؟

وقالت الأم :

— قبلوا ٠٠ لذن ٠٠

وحات الكلام على شفيتها-وارتمى وهدان جالسا على الأريكة

معتمدا براسه على ذراعه الواحدة مفكرا فى كل ما فكر فيه ابنه

من قبل ٠٠ وتمت الخطبة وتم الزواج .

★ ★ ★

— ٧ —

اقام سباعى وزوجته فى بيت وهدان ٠٠ ولكن وهدان لم يكن يطيق ان يكون البيت مزارا لعز الدين وابنه شعبان ٠٠ وما كان يتصور ان اسرة كهذه تندمج مع أسرته ٠٠ وما كان يدور بخياله ان شعبان يمكن ان يدخل الى بيته فى اى وقت من اوقات اليوم وهجست نفسه ان شعبان ربما فكر فى الزواج من فاطمة او عابدة واذا مر هذا التفكير بذهن شعبان فتهيأت لوهدان ان يرفض لأنه لم يكن يريد ان يموت مقتولا ٠٠ فهؤلاء نفر من الناس لا يقف بهم نسب او قرابة ان يرتكبوا اى جرم ٠

سارع وهدان فابتنى بيتا لابنه سباعى ولم يشعر ان كارثة زواج ابنه من ابنة هذا المجرم قد خفت حدتها الا يوم انتقل هو وزوجته الكئيبة الى البيت الجديد ، ومهما يكن البيت قد كلفه فكل مال حين اذا قارنه بمصيبة زيارة واحدة من عز الدين او اطلالة من شعبان على اخته التى تسكن فى نفس البيت الذى يعيش فيه مع نبوية وابنتيه ٠

وكان التعليم قد انتشر في القرية انتشارا اتاح لفاطمة ان تجد شابا متخرجاً في كلية التجارة هو حسونة الزينى خطبها بعد ان تم تعيينه بالصعيد مراجعاً لحسابات السكة الحديد بها . ولم يمر كثير من وقت حتى خطبت عابدة أيضاً الى ياسين ضيف خريج كلية دار العلوم والذي عين مدرسا بالقاهرة . وقد كان ياسين قبل ان يلتحق بكلية دار العلوم شيخاً معممًا نال ثانوية الأزهر ثم التحق بكلية دار العلوم وكان الأب والأم سعيدين غاية السعادة بهاتين الزيجتين . وكان كلاهما يحمد الله ان عرضهما عن زيجة سباعى .

والواقع ان قدرية لم تكن في اخلاقها على هذا القبح الذي طبعه الله على وجهها وإن كان بلوغ هذا القبح عسير المنال على أية حال . الا ان الفتاة كانت رضية الخلق تعامل حماها وحماها بكل اجلال واحترام . وكان وهدان بحاسة العدل فيه وبمشاعر الأبوة يعلم ان قدرية لا ذنب لها فيما ركب عليه ابوها وانها تزوجت برغبة منفردة من زوجها ويشعور بالسعادة من ابوها واخيها ان وجدت انسانا اى انسان يقبل ان يتزوجها .

وهكذا كانت معاملة وهدان ونبوية لقدرية تتسم بالأبوة الكاملة وبالجنان الشفوق لا يفرقان بينها وبين ابنتيهما وكسنت هي تقوم مع اختى زوجها بشئون البيت فى يسر ونعومة . ولم يحدث فى يوم ان اشتجر خلاف مهما يكن هينا بينها وبين أحد من اهل البيت جميعا . حتى الخادمت اللواتى استقبلنها فى وجوم واسى لقبحها وليس لى سبب آخر من أيضا سرعان ما اصبحت عندهن واحدة من اهل البيت لا تختلف معاملتهن لها عن معاملتهن للست فاطمة والسنت عابدة . والخادمت فى الريف يالفن بنات الاسر

التي يعملن بها حتى لتصبح الصلة بينهن صلة اقرب الى الأخوة منها الى صلة سيد بمسود . فلم يكن غريبا اذن أن تفرح قدرية بخطبة فاطمة ثم عابدة كفرح البيت جميعا من سادة وخدم .

وقد يتساءل الشباب ما هذا الزواج الذى تم بغير حب سبقه ولا لقاء ولا اتفاق بين العروسين ولو عرفوا الريف فى هذه الازمان لعاموا ان الزيجات التى كانت تتم على حب فى الأسرة المتوسطة تكاد تنعدم . ففتيات هاته الأسر لم يكن يخرجن من بيوتهن منذ اليوم الذى ينقطعن فيه عن التعليم بل ان الكثيرات منهن كن يتلقين تعليمهن فى البيت اذا كان الأب يريد لبناته أن يتعلمن . فالدائرة التى تنسع لسجنهن ضيقة غاية الضيق ولكن تفاصيل حياة كل فتاة ومدى جمالها أمر مشاع بين أبناء القرية جميعا . والخاطب حين يتقدم الى الخطبة يكون عالما بكل اسرار الفتاة التى يتقدم لها ولكن من غيرها وليس منها .

فاحاديث القرية عن القرية . وامهات هؤلاء الشبان يروين لهم كل شئ عن كل فتاة أو سيدة أو حتى طفلة فى القرية فينشأ الفتى وأبناء القرية جميعا فى كامل وعيه لا يغيب عن شاب من هؤلاء الشباب خبر عن أى فتاة من فتيات قريته .

والأمر مختلف كل الاختلاف اذا كان الزواج من ابن فلاح يعمل فى الحقل وابنة فلاح آخر يعمل . فالفتيات فى هذه الفئة يخرجن كل يوم ليذهبن بالطعام الى آبائهن أو اخوتهن فى الحقول وهن يملأن الجرار وهن يشترين حاجات البيت فى أيام الأسواق فاذا كان الحب قد اندلع بين وهدان ونبوية حين كان الزمن مازال فى غيبوبة الجهل فهو مندلع أيضا والزمن قادم على نور العلم لان الفتيات

من مثيلات نبوية حين تزوجت مآزلن كشأنها فى الايام الخالية من
طفولتها وصباها وياكر شبابها .

ربما لو كان هناك شاب من اقرباء وهدان او نبوية يتردد
على البيت يصلة القرابة وشب حب بين هذا الشاب وبين واحدة من
الفتاتين كان الأمر قد تغير . وقد كانت الفتاتان جميلتين وكانت
كل منهما تمثل نوعا من الجمال الذى لا يختلف فيه اثنان وان كان
هناك مجال لاختلاف فانه سيكون تقدير مدى هذا الجمال . كانت
احدهما خمرية اللون ذات تقاطيع منسجمة لها انوثه جذابة وشعر
مناسب فيه رخاء وسيولة ولين وكانت الأخرى عابدة شديدة
البياض فى خديها حمرة واهنة وفى عينيها سواد داكن يتوسط
بياضا ناصعا وفى شعرها عريضة حبيبة . كلتاها مشوقه القوام
وكانت عابدة اطول من فاطمة قليلا ولكن لا يشتكى من فاطمة قصر
ولا يعاب على عابدة طول .

فالفتاتان كانتا جديرتين أن تحبا . ولكن لم يكن هناك حبيب
فالذين يرونهما من الرجال لا ترتقى آمالهن الى حبهن . وكلتاها
كانت تعلم أنها ستجد الزوج اللائق بها فقد كانت كل منهما تعلم
أنها جميلة وأن أباهما ممن يالف الناس ويألفون وأن أمها قريبة الى
مشاعر الأمهات فى القرية لم تمد يدها لاحداهن بغير المعروف
والكرمة . كلتاها كافتا تجدان المتعة فى كتاب من الكتب الكثيرة
التي كان يشتريها لهما خليل وفى الراديو ما وجدت البطارية وفى
الأسطوانات . وقد تزوجتا كلتاها وهما فى مطالع الشباب فلم
تضق منهن نفس ولم تشعر واحدة منهما فى حياتها برهبة المستقبل
ولم يهدد احدهما شبح من عنس .

وما هي الا سنوات قلائل حتى امتلأ البيت بابناء فاطمة وعابدة يأتون جميعا الى بيت وهذان في الاجازات والأعياد وكان الجدان يشعزان بمجيئهما أن الحياة التي عاشاها كانت مثمرة خصيبة ولم يشعر واحد منهما بالأسف أن سباعى لم ينجب وقد استطلت سنوات زواجه . وكان سباعى في هذه السنوات تواقا الى ابن وليس ابنة ليضمن وارثا لماله الذى هينول اليه من ابيه والذى ينوى أن ينميه بكل الخطط التي كان يعسدها طوال حياته وما سترته أيضا قدرية من ابيها وهو نصيب ان يكن نصف نصيب شعبان الا انه يظل مع ذلك موفورا ولم يكن قبح زوجته بالنسبة اليه يشكل أى أسف لزواجه منها . فقد سرعان ما تعودته حتى لم يعد يرى فيها ما راه في أول يوم دهمه فيه رؤياها . وهو أيضا كثيرا ما يروح عن نفسه مع شعبان . ولم يكن شعبان يجد أى غضاضة أن يصحب زوج اخته في لياليه الصاخبة بل لعله كان يعتقد أنه اذا لم يصحب شعبان فان شعبان سيجد وسيلة أخرى يخفف بها وطأة اخته عليه وهى وطأة لا يطيق احتمالها الا ذو قوة وايد .

وكان العرب قد بدأوا يرودون ملاهى شعبان وسباعى . وكانوا حريصين أن يجدوا لانفسهم أصدقاء في القاهرة . وكان شعبان يتمتع حيث يسعى بأنه ابن أحد اللواب وبانه ثرى وأحسن أمير عربى أن مثل هذا لن يطمع فى ماله وانه يستطيع ان يتخذ منه صديقا . فاتخذ صديقا وأصبح الأمير نمر من اقرب أصدقاء شعبان أما سباعى فكانت الصلة بينه وبين الأمير صلة تعارف لا تصل الى الصداقة . وكثيرا ما دعا شعبان الأمير الى شقته بالقاهرة وكم سعد أبوه عز الدين حين دعا الأمير الى بيتهم فى القرية فإى مجد يناله وهو يصيح فى خدمه . القاهرة لسمو الأمير

يا ولد • الشئى لسمو الأمير يا ولد • انه لم يحلم بزيارة وزير فكيف بامير • كان فغوراً عز الدين بابنه وبصداقته هذه للأمير فخرًا لم يعرفه حياته كلها •

ودعا الأمير شعبان أن يزوره في بلده فلبى الدعوة وحده طبعًا فالدعوة لم توجه الا اليه • وحين سافر شعبان لم يكن يفكر الا في رؤية هذه البلاد وحين استقر به المقام هناك ووجد الثراء الفاحش الذى يعيش فيه الأمير انتهز فرصة خلا فيها به وسأله في شبه مداعبة :

- اتقبلون في أسرتم غير الأمراء •

وقال الأمير :

- يا اخى وما لباس كلنا ابناء آدم وكلنا مسلمون

- احقا ما تقول يا سمو الأمير

- نعم هو الحق

- لك اخوات لم يتزوجن بعد ؟

- تسع اخوات تزوجت منهن اثنتان ••

- فاذا طلبت منك أن تزوجنى احدى السبع الباقيات

- ايهن ؟

- وهل اعرف •• انها اول مرة اعرف ان لك اخوات

- وكيف تريد أن تتزوج اذن

– بالأنابة

– الأنابة تكون فى زوجة محدمة

– اننى أوكلك عنى فى الاختيار اما العقد فلا داعى فيه
للأنابة فانا حاضر بين يديك

– اتريد إن تتزوج فى هذه الزيارة

– واعد الى ابى بالمعروس

– وهل هذا معقول ؟

– وفيم نحتاج الى الزمن • انا بيتى موجود فى البلدة وفى
ساعات اختار للأميرة أحسن شقة فى القاهرة والأميرة قطعاً
لا تحتاج الى جهاز فقيم الانتظار ؟

– اسألها

– هل اخترت لى ؟

– قد اخترت

وتزوج شعبان من الأميرة العربية وعاد بها الى ابيه واقیم
الفرح فى القرية ثلاث ليال سويًا • ولم تكن الأميرة على كل حال
فى قبج قدرية • وهو جين طلبها انما سعى الى لقبها وراثتها
وما سعى الى جمالها أو انوثتها • قدر انه لابد ان يتزوج وقدر
ان مثله لا يعرف للحب معنى الا هذا الذى يمارسه فى لياليه فى
القاهرة وعندما تنطفئ الأنوار تتساوى جميع النساء •

اشتد المرض بوهدان فقد داهمه الكبر فجأة وتوالت عليه
 علامته واحس انه يعيش الايام الأخيرة من حياته • وكانت نتيجة
 البكالوريوس على وشك الظهور فكان كل دعائه حين كان يصلى
 وهو نائم من شدة الوهن ان ربي لا تضمنى اليك حتى اعرف نتيجة
 خليل • اريد ان اقول له يا دكتور مرة واحدة قبل موتى • ومن
 المجيب ان قدرية كانت حاملا فى هذه الفترة وكانت قاب قوسين
 او ادنى من الولادة ولم يدع وهدان ربه ان يرى سباعى قبل ان
 يموت وان كانت نبوية تدعو له دائما بطول العمر ثم تهمس وكأنها
 تناجى الله فى عليها سمائه وان كان لايد يا الله فافرحه بنجاح
 الدكتور خليل وبخفيد من ابنه المبكر •

وفى يوم أصبح خليل الدكتور خليل وقبله أبوه وعيناه
 تنهران دموعا وراح ينظر الى السماء وهو يقول الآن اذا شئت
 يارب •• الآن ولك الف شكر والف حمد وابت السماء الا ان يأتيه
 الخبر الآخر فى نفس اليوم أن ابنه سباعى قد رزق بولد وكان
 سباعى هو من سعى اليه بالنبأ وقبل يده وماله :

– لن يختار له الاسم الا انت يا آبا •• أطال الله عمرك

وقال وهدان وهو يلتقط أنفاسه :

– ليكون اسمه صلاح وليكن صلاحا باذن الله

وفى السماء فاضت روح وهدان وهومت فى سماوات القوية
 كلمات الآية الكريمة ••• يخرج الحي من الميت سبحانه •••

★ ★ ★

— ٨ —

الانتخابات فى القرى مواسم • حين تقبل يصبح الجميع مشغولا بها لا يصرفه شئ عنها • الا أن يكون موعد زراعة أو رى أو تسميد فإن الأرض لا تعزف للتأجيل والنبات لا شتان له بالانتخابات فهو لن يعطى صوتا وهو أيضا لن ينال ما يناله أصحابه من مال أو من تسليّة •

ولئن كان النفاق هو أعظم العملات تداولاً فى الحياة جميعها فإن موسمه الأكبر هو أيام الانتخابات • نفاق متبادل يقدمه المرشحون الى الناخبين ويقدمه الناخبون الى المرشحين مع ما يكرمونهم به عند زيارتهم • ويروى أحد المرشحين المشهورين أنه ذهب فى يوم لزيارة بلدة من بلاد دائرته الانتخابية فلقى اهتافاً على الأعناق واتجه الراكب الى بيت العمدة ليكون أول بيت يزوره المرشح فى القرية وكان التراب قد تصاعد الى عينى المرشح حتى لم يعد يرى وهو بطبيعته ذو عيون كليله حساسة فهمس فى اذن العمدة أنه يريد أن يغمط وجهه وسرعان ما أخلى الطريق له الى الحمام وغسل وجهه ونشفه ووضع نظارته على عينيه • ووجد

بالحمام شيئا عجيبا ووجد لافتات فى حجم اللافتات التى استقبلته بها البلدة لا فارق هناك بينهما الا شيء واحد هو ان هذه اللافتات تحمل اسم المرشح الآخر .

ولئن كانت الرشوة تتستر وراء الكلمات فى مألوف الحياة وان كان المرتشى يقول دائما ان المال لغيره والراشى يتظاهر بأنه يصدق فان الرشوة فى أغلب الانتخابات تسفر عن وجهها سفورا كاملا لا تتشع بساتر ولا تستخزى وراء الكلمات ولا تستحى أن تصرح . فاذا لم يكن للبلدة كبير يرشى فقد تتمثل الرشوة فى تبرع يقدمه المرشح لجامع يبنى علم الله انه تبرع لن يكتب فى الحسنات ابدا . واذا كان كبير البلدة عفيف النفس وطلب الى المرشح الا يقدم أى تبرع فى اثناء الانتخابات سعى الصغار الى المرشح يوسعونه مطالب واستجداءات حتى ليتمنى لو كان كبير البلدة مرتشيا فطلبات الأفراد لا نهاية لها أما التبرع او رشوة الكبير فرقم محدد وينتهى الأمر . ولما كان المكر السوء يحيط بأهله دائما فالراشون هم فى الأغلب الأعم هم الساقطون فان المرشح الواصل بنفسه لا يقبل مساومة فى فترة الانتخابات قط حتى لأعرف مرشحا كلفه المطعم والمشرب واستقبال الناخبين مبلغا لا يتجاوز بضعة مئات ولكنه خشى ان يعرف أحد هذا فيظن أنه انفق فى الرشوة مالا فقال لابنه وهو ينبئه بالحساب لا أحب ان يعرف أحد أننى انفقت هذا المبلغ . وكان نجاح هذا المرشح ساحتنا .

فالمرشح السياسى الخبير بالانتخابات يعلم ان الصوت الذى يشتريه لم يصبح له وانما يصبح سلعة فى السوق . واذا كانت السلعة يدفع مشتريها ثمنها ويتسلمها فان الصوت سلعة غير امينة ولا مأمونة فهي تأخذ من كل المرشحين ثم لا تنتخب أحسدا على الاطلاق او قد تنتخب من لم يدفع لها شيئا .

ولكن حين يكون بين المرشحين مجرم مثل عز الدين الخولى
 فان الامر يختلف كل الاختلاف . فان اغلب البلاد لا تريد ان
 تتعرض لزيانيتها ومجرمييه السذين يسلمتهم على عباد الله فيفعلوا
 بهم الافاعيل من حرق للزرع الى سرقة للبهائم الى قتل اذا احتاج
 الأمر الى قتل . والبلاد فى الريف تخاف على زرعها وعلى بهائمها
 وعلى ارواحها ولكنها لاتحب ان تعلن انها خائفة فهي تتظاهر بذكاء
 لا يتأتى الا للفلاحين انها تنتخب المرشح المجرم عن حب وطواعيه
 وليس عن خوف واذعان . وانها تختاره راغبة لا راغمة . والمجرم
 العمى البصيرة بطبيعة تكوينه ولم يكن كذلك لادرك ان مال
 العالم وسلطانه أجمع لا يساوى دم انسان برىء واحد من الدماء
 التى يريق . وبهذا العمى فى البصيرة يصدق أنه محبوب من دائرته
 وانها تنتخبه عن اقبال وحب . . وقد يسأل واحد من الذين لم
 يعيشوا فى الريف . الا يسأل المجرم نفسه لماذا يحبه الآخرون وهو
 قاتل سفاح يهدد مصادر رزقهم ويقض منهم المضاجع ويجعل
 حياتهم رعبا وموتهم لعبة . نعم ان هذا السؤال قد يرد على ذهن
 المجرم وهو واجد عند نفسه الجواب فهو يظن ان الفلاحين ماداموا
 يطربون حين يسمعون حكايات أبو زيد الهلالي سلامة وعنتر
 ابن شداد والزناتي خليفة ، وما دام بعضهم يروى لبعض حكايات
 ادهم الشرقاوى ومن تبعه باجرام الى الخط فهم اذن يعجبون
 بالرجل القوى الذى يصادر الحياة ويجعل من نفسه جلادا لمن يقول
 فى وجهه لا اله الا الله محمد رسول الله . وهو منطق كما ترى
 سخيف وساذج . اما الطرب من الفلاحين لحكايات الأبطال فهو
 شعور بأن هؤلاء الذين تروى عنهم الاساطير قد واجهوا الظلم
 بمثله ودافعوا الطغيان بالقوة والعنفوان وهو ما كان الفلاحون
 يتمنون أن يصنعوه مع امثال عز الدين الخولى . فعنتر وابو زيد

والزنتاني واضرابهم هم ازالة الغضب الذي يغتلى في نفوس المغلوبين
على امرهم امام القوة الفاشمة المتمثلة في اسلحة الطفافة
واعوانهم *

اما رواية الفلاحين لقصاص المجرمين من معاصريهم فهي اتقاء
لشرهم وتظاهر بالاعجاب بهم عساهم ان ينالوا عنهم باجرامهم
واذاهم فالقلاخون اذن بما يروون انما يتقون شرا ولا يعجبون
بشرير الا ان يكونوا اطفالا يسرون ما يلبثون مع الايام ان يدركوا
الحقيقة وأن يعملوا الذميمة والطيب والفساد والصلاح والاعوج
والقويم *

ولكن عز الدين الخولى وأمثاله لا يحبون هذا الحق وانما
يحبون ان يهينوا لأنفسهم انهم أبو زيد وعنتر والزنتاني وادم
الشرقاوي والخط جميعا * وانهم محبوبون *

ولهذا لم يكن عجيبا ان يزور عز الدين الخولى بلاد الدائرة
في سيارة مكشوفة وخلفه صفوف من السيارات التي استأجرها
للانتخابات بأسعار توشك ان تكون رمزية فأصحاب السيارات
أصحاب اولاد يخشون ان يخطفوا وأصحاب ارواح يخشون ان
تحرق * فهم اذن يقدمون سياراتهم له بكل الحب وبالفاسطهم
صائحين انها ملكه هي وأصحابها مقسمين بالطلاق الا يتقاضوا
مليما وما يزال بهم حتى ينزلوا على امره ويقبلوا ما يعرضه * وقد
كان ما يعرضه سفاكا للمال كما هو سفاك للدماء وكانت الانتخابات
قد بدأت وكان عز الدين منتصيا لحزب الوزارة التي تركت الحكم
ولكنه في نفاق واضح لا شبهة فيه ولا حيلولة ترك حزب الحكومة
المولية وانضم الى حزب الحكومة الحاضرة * فالرجل لم يدع في
يوم من الايام انه ذو حياء او انه سياسي او انه - لا قدر لاله -
ذو شرف *

ولم يكن هذا الانتقال من حزب الى حزب نظرة الى الانتخابات فهو يعرف نتيجتها على الحالين وانما كان تحسبا لما بعد الانتخابات وحرصا على أن تكون صلته بالسلطة التنفيذية وطيدة فتظل ايجارات الأوقاف سارية المفعول فى العهد الجديد وتظل رغباته فى تعيين العمدة ونقل الموظفين نافذة ٠ وهو قبل لم يختار الحزب الذى كان فيه عن مبدأ ولا هو انتقل الى الجانب الآخر عن اعمال رأى ٠٠ فالشرف السياسى بعيد عن كيانه كل البعد ٠ ومادام الأمر كذلك فماذا سيخسر اذن ان هو ترك حزبا الى آخر ٠٠ لا خسارة طبعاً ٠٠ والربح مؤكد ٠

وراحت مواكب عز الدين تجوب بلاد الدائرة ٠ وان له لبصمة فى كل بلد زارها ٠٠ وبصمة السفاح تترك حيث تقع دماء ان لم تكن دماء بشر فدماء كرامة مسفوكة وخزى يلحق بمن اختاره الطاغية ليكون ضحيته ٠٠ والسفاح معدوم الحياء جامد الوجه شديد التبجح فليس يراعى الا يمر بببيت قوم قتل عائلهم او سلب بهائمهم او حرق زرعهم او محصولهم ٠ وانما هو يتعزى أن يعند قى اول نزوله الى القرية الى البيت المخضب بدماء البشر او الكرامة او الفقر التى أسالها هو ويتعمد أعوانه الذين هم على شاكلته من الفجور أن يرفعوا عقائهم بالهتاف له ثم ينطلق رصاص عصاباته ليعلن أن الذى يتخلف عن الهتاف ينوب الرصاص عنه فى هذا الهتاف ٠

وعلا الضجيج وعلا الصخب وبق الطبل وعلا المزمار وتهافتت اصوات الرصاص وغلت دماء فى العروق وصعدت حميا الجنون الى مكان العقول وسقط عز الدين الخولى قتيلاً برصاصه فى رأسه وخشع الطبل والمزمار وولى المجرمون بزعامه أبو مريع

هربا وهم من كانوا يقسمون فى كل يوم أنهم يفدونه بخياتهم ٠٠
 ولكن القسم شيء وقتله ومجىء الشرطة والتحقيق شيء آخر ٠٠
 وبدأ الفرح على وجوه الجميع فى القرية تحاول أن تغطيه الحوقلة
 ولا اله الا الله ٠٠ وسبحان الدائم ٠٠ ومحاولة التظاهر بالحزن
 أمام ابنه ومن بقى من أعوانه ٠٠ فمن أين لهم أن يعلموا ان كان
 شعبان فى مثل اجرام أبيه أو أقل أو أكثر فهم لم يجربوه بعد ولا
 يدرون مدى جبروته أو ضعفه ٠٠ لقد عاش عمره تابعا لمجرم
 افتراه يصبح متبوعا لمجرمين أم لا يكون الله وحده اعلم ٠٠ التظاهر
 بالحزن لمسلم ٠٠ وما هى الا ساعة أو بضع ساعات ثم ينحسر عن
 القرية موكب الاجرام ويفرغون هم لأفراحهم بما خلصهم الله من
 هذا العاتية السفاح ٠٠ كان من المستحيل أن يعثروا على الجانى
 فكم من أعداء للقتيل ٠٠ وان انصرف الظن الى من نكبهم عز الدين
 من أهل القرية فسرعان ما يخيب هذا الظن فقد كانوا جميعا يعلمون
 أنه قادم الى القرية فى هذا اليوم وكان من الطبيعى أن يتركوا
 القرية اكراما لأنفسهم أن يروا وجهه الذى لا يطيقون رؤيته
 وتقية أن يبلغ منهم الغيظ مداه فتنتطلق من أفواههم كلمة قد تكون
 فيها نهايتهم ويدرك الشرطة أن القاتل قادم من بلد أخرى وأنه تخفى
 حتى لا يلحقه أحد ممن يعرفونه من أبناء هذه القرية وأنه انتهز
 فرصة الهتاف والرصاص والطبل والمزمار ونال ثأره وثار كثيرين
 آخرين غيره ٠٠ ولم يدهش أحد من كل الذين شهدوا القتلة
 أو الذين سمعوا بها فهى أمر كان لابد أن يقع على هذه الصورة
 وليس على غيرها ٠٠ كل الذى كانوا لايعرفونه هو متى ٠٠ وقد
 عرغوه ٠٠

— ٩ —

حين اجتمعت أسرة وهذان بعد وفاته بفترة قال خليل كلاما
قاطعا :

— يا امه انت الكبيرة ولا رأى قبل رايك ولا بعده ولكننا نعرف
أن هذا الحديث لا يطيب لك .. ونعرف معنى أن تفقدى المرحوم
ولكننا فلاحون .. والأرض جامدة صلبة بلا عواطف ولا بد لها من
خدمة وأنا لى رأى ..

وقالت نبوية :

— يا خليل يا بنى أنا ليس لى أرض .. الأرض أرضكم .

وقال سباعى :

— بل كلها أرضك ..

وقالت فاطمة :

— اسمعى يا امه انت تديرين الأرض كما كان يفعل أبى
ويساعدك سباعى ..

وقالت عاتبة :

- ونعم للرأى يا فاطمة .. وماله يا أمه .. أنت فلاحه
بنت فلاح وسباعى ابنك ..

ونكس سباعى رأسه فى مراوغة مكشوفة وقال :

- انا تحت امركم .. الا اننى احب ان اتسلم نصيبى ..

وقالت الأم فى امى وفى تودة :

- طول عمرك مستعجل يا سباعى ..

وقال سباعى :

- ليس فى الامر استعجال .. هذا شرع الله ..

وقالت الأم :

- لا اله الا الله .. وهل نازعك فيه أحد .. ولكن أنت كذا
طول عمرك مستعجل ..

وقال سباعى :

- يا أمه أبدا ..

وقالت نبوية :

- ان لم تكن عجولا لانتظرت على الأقل حتى تسمع زايى ..

وقال سباعى :

- انا اصف يا أمه .. الحق على .. قولى رايك ..

وقالت نبوية :

— الآن لا أقول ٠٠

وقال سباعى :

— ورحمة أبى الا قلت رأيك ٠٠

وقالت نبوية :

— ماذا كنت تريد أن تقول يا خليل ٠٠؟

— كنت أريد أن أوفر عليكم كل هذا الحديث ٠٠ أما الآن وبعد
أن قالت فاطمة ما قالت ووافقت عابدة على كلامها فلا بد أن أسمع
رأيك أولا ٠٠

واندفع سباعى قائلا :

— هذا ليس رأى فاطمة ولا عابدة ٠٠ هذا رأى الشيخ ياسين
والأستاذ حسونة ٠

وقال ياسين :

— أولا يا سباعى أنا وحسونة جالسان ولم نفتح فمنا بكلمة
واقسم بعهد الله أننا لم نلتق قبل هذا الاجتماع ولم نتفق على هذا
الصمت ولكننى رأيت أن هذا هو الخلق بى ويبدو أن حسونة رأى
نفس هذا الرأى ٠٠ ولو كان ما قالت زوجته رأى لقلته واعتقد
ايضا أنه لو كان رأى حسونة لقاله فليس علينا بأس أن نشارك
فى شئون عائلة أصبحنا منها بحق النسب ٠٠ ولكن هذه أرضكم
وزوجتى والحمد لله تعيش حياتها الزوجية فى رضى واعتقد أن

أختها كذلك ٠٠ ولهذا فأنا أرجوك أن تبعدنى عن هذه المناقشة
ويتهياً لى أن حسونة يرجوك نفس هذا الرجاء ٠٠

وقال حسونة :

– الله يفتح عليك يا ياسين ٠٠ ليس لى يجد ما قلت كلمة
واحدة أزيدها ٠٠

واستخزى سباعى بعض الشيء وأطرق وقالت نبوية :

– ألم أقل لك يا سباعى أنك دائماً مستعجل ٠٠

وقال سباعى :

– الحق على مرة أخرى ٠٠ قولى انت رأيك ٠٠

وقالت نبوية :

– الأمر لله ٠٠ أقول ٠٠ أنا لا أريد من الدنيا الا أن أكون
أمكم وأن أبقى فى هذا البيت لأفتح لكم جميعاً حين تأتون اليه
وبهذا أشعر أننى استطعت أن أرد بعض الدين الذى فى رقبتي
للمرحوم الذى عشت معه ما عشت ولم أر منه فى لحظة من اللحظات
ما يسيئنى حتى اذا غضب كان يدخل الى حجرته ويقفل بابها على
نفسه حتى لا أراه مكشراً ٠٠ أرض ؟ أنا لن أشوف ٠٠ وأن كنت
كما قالت فاطمة فلاحه وبنيت فلاح الا أننى منذ تزوجت أبوكم لم
أخرج الى الغيط ٠٠ حتى حين كنا فقراء فى أول حياتنا رتب لنا
مصطفى السقا حتى لا أخرج للء الجرة ٠٠ فأى أرض هذه التى
أشوفها ٠٠ وهل تسمح سنى بذلك ٠٠ يا أخى أنا كفاية على أن
أجعل البيت دائماً مستعداً لاستقبالكم ٠٠ غير هذا أنا ليس عندى

كلام ٠٠ وما تشوفه أنت وأخوك أنا مسئولة أن أجعل فاطمة وعابدة
تقبلانه ٠٠

وقال خليل :

— اطال الله عمرك يا أمه وأبقناك لنا جميعا ٠٠ نعم الرأي
الحقيقة أننى الآن أصبحت طبيبا ٠٠ والطبيب يحتاج لوقته كله
حتى يكون طبيبا ناححا ٠٠ وأنا متأكد أنكم تحبون أن يكون أخوكم
ناجحا ٠٠ والحقيقة أيضا أن سباعى كان دائما ابن الأرض يعرف
كل شيء عنها وكان أبى يعتمد عليه منذ كان سباعى صبيا وحين
أصبح شابا كان هو الذى يشرف على الأرض ويكتفى أبى بأن
يعرف منه ما فعل ٠٠ وكان أبى يبيع المحصول وبحضور سباعى ٠٠
أليس هذا كله حقا ٠٠

وهينمت أصوات بالموافقة فأكمل حديثه :

— وأن يجلس كل واحد منا آخر السنة ويرى حساباته أمر
أنا لا أحبه فقد تقتنع فاطمة بالحساب ولا أقتنع أنا مثلا ٠٠ فالرأى
عندى أن أقعد الآن مع سباعى ونرى ما أنتجته الأرض فى السنوات
الثلاث الأخيرة ونقدر أيجارا معقولا يعود بالربح على سباعى مقابل
إدارته للأرض وتعبه فيها ويكون كل منا على علم طول السنة بما
سيحصل عليه آخر العام ٠٠

وقالت الأم فى حسم :

— كلام معقول ٠٠

ونظرت فاطمة الى اختها وبادلتها عابدة النظر وتلمست كل
منهما رأيا عند زوجها فلم تجدا اعتراضا وقالت فاطمة :

- موافقة ٠٠

وقالت عابدة :

- نكتب عقود ايجار ٠٠

وقال خليل :

- نكتب عقود ايجار ٠٠

وقال سباعى والفرحة تملأ عليه منافذ الهواء :

- على بركة الله ٠٠

حين خلا سباعى الى شعبان بعد ماتم أبيه سألته شعبان عما فعله مع اخوته فاخبره ٠٠ وفكر شعبان مليا ٠٠ ثم قال :

- بعد الأربعين أريدك فى أمر مهم ٠٠

كان شعبان انسانا آخر غير أبيه وغير الذى عرفه فيه أبوه ٠٠ فان تكن الأرض هى كل حياة أبيه يقتل فى سبيلها الناس ويعتصر دماء البشرية فان شعبان لم يكن يرى فى الأرض الا وسيلة تمكنه من قضاء أيامه مقلوبة ومن أن يجعل نهاره كله سودا لأنه فيه دائما يحب أن يكون نائما ولياليه كلها بيضاء باللنور الملقى على أجساد الراقصات وهن بعض كاسيات أو حمراء بالضوء الشاحب الهارب فى خجل من جسومهن وهن عاريات ٠٠ تلك هى الحياة عنده ٠٠ وان كان فى حياة أبيه يعاونه فى الزرع ويغضى عما يفعله بالبشر فما كان هذا منه الا لينال ما ينفقه

على صنعته الوحيدة فى الحياة وهى المتعة والمتعة المشتراة وانها
لباهظة الثمن .

وان كان أبوه يحب أن يكون عضوا فى مجلس النواب
معتليا كرسيه على الرعب يثيره فى الناس بالقتل والسرقة
والغصب والنهب والجبروت فان شعبان كان ينظر الى مجلس
النواب هذا على أنه تسلية لا طائل تحتها مادامت لئاليه لا تنتهى
بما تنتهى به لئاليه هو . . وان كان فى حياة أبيه مرغما
على الزراعة والسعى فى الانتخابات . . فلا ارغام اليوم عليه . .
وقد كان شعبان فى القمة من سعادته بزواجه الرضية التى
لا ترى فيما يفعله من سهر امرا غير عادى وانما هو مألوف ما
يصنع الرجال وما عليهم فى ذلك من بأس ماداموا آخر الليل
أو اول النهار ينامون فى أسرة منازلهم . . وكانت قد ولدت
لشعبان سمية ووليد فهى مشغولة بأبنائها والمال عندها دائما
موفور بما يرسله اليها اخوها أو يعطيه لها حين يزور مصر . .
وهى تشتري ما يعين لها أن تشتري وربما كان الشيء الوحيد
الذى كانت تتوق اليه هو زيارة أمريكا وأوروبا وقد كان زوجها
يعتذر عن عدم تنفيذ هذه الرغبة بمشغوليته فى أملاك أبيه مخفيا
الأسباب الحقيقية التى يتقدمها جهله باللغة ولكنه امام الحاحها
وافق على السفر معللا نفسه أن اللغة التى يجب أن يتحدث بها
عالمية وربما وجد فى باريس مثلا من يفهمها خيرا مما يفهم
الفرنسية نفسها وحدد لسفره انتهاء المعركة الانتخابية . فحين
قتل فيها أبوه تأجل الموعد الى أن تمر فترة مناسبة وهكذا كان
شعبان فى مشاغله وآماله بعيدا كل البعد عن مشاغل أبيه
وآماله . . وكان أبعد ما يكون عما يفعله أبو سريع وقد كان
واتقا ان أبو سريع لن يبقى معه بعد موت أبيه الا ريثما تمر فترة

تسمع له أن يجد مستاجرا آخر .. فما كان شعبان يتصور أن
يقتل أحدا في سبيل أى شيء إلا أن يعوقه عن متعته فى الملهى .

ولهذا لم يكن غريبا أن يقول شعبان لسباعى بعد احياء
ذكرى الأربعين لوفاة أبيه :

— ما رأيك يا سباعى أن تصنع معى ما صنعته مع اخوتك ؟

وهل سباعى .. احقا ما يسمع .. ويسأله أيضا ما رأيك
.. وهل فيها رأى .. لقد بدأت الآمال تتحقق من أوسع الأبواب .

حين غادر سباعى بيت شعبان قصد من فوره الى بيت
أبو سريع ..

— السلام عليكم ..

— أهلا سباعى بك مرحبا .. القهوة يا ولد .. يا مرحبا
أهلا وسهلا ..

— أهلا بك يا أبو سريع .. قهوتك مشروبة يا أبو سريع الا
أننى أريدك فى كلمتين ..

— تحت أمرك .. عن اذنكم يا رجال ..

وينظر الرجال بعضهم لبعض فى دهشة شديدة ثم يقومون
الواحد منهم تلو الآخر وقبل أن يصل أولهم الى الباب يصيح
سباعى :

— يا سلام ...

ويقف سلام ويلتفت اليه فى اجلال :

- نعم يا بك ..
- انتم طول عمركم رجال ..
- قحت امرك ... مر ..
- هذه الزيارة ..
- مالها يا بك ..
- لم تحصل .. لم تتم .. لم اُجىء الى هنا .. لم يرش
احد منكم ..

وابشسم سلام وهو يقول :

- وهل جئت يا بك حتى يراك احد منا .. هيا بنا يا رجال
وخرج الجميع وهم يضحكون تشيعهم جملة سباعى :

- الم اقل انكم طول عمركم رجال ..
وحين خلا المكان بسباعى وابر. سريع قال سباعى :

- هل اتفقت مع احد بعد عز الدين بك .

- يا بك الاربعين كان اول امس .. من يمكن ان يكلمنى
قبل ان يمر الاربعين ..
- لا تتفق ..
- امرك ... فيه حاجة ..
- لا تتفق وبس .. افهمت ؟ ..
- امرك ...

★ ★ ★

- ١٠ -

متولى أبو منصور هو أحسن فلاح فى أرض وهدان جميعا
وقد انتج فداناه فى العام الاول من تولى سباعى الأرض سبعة
قنطير . وكان نظام الزراعة مع المالك خاضعا للمحمول وهى
نظام يشبه الإيجار الا ان السداد فيه يكون عينا أى بالمحصول
نفسه . وكان هذا السداد يسمى المحمول وقد غلبت هذه الكلمة
على النظام كله فكان يقال ان الزراعة بالمحمول وكان محمول
الأرض الذى يجب ان يسدده الفلاح فى أرض وهسدان
هو ثلاثة قنطير عن فدان القطن وثلاثة ارادب عن فدان القمح
وأربعة ارادب عن فدان الذرة . وكان متولى يزرع خمسة افدنة
وكانت الأرض تنتج فى مالوف عاداتها خمسة قنطير وكان الأصل
ان يكون ثلاثة أخماس المحصول للمالك وخمساه للزارع فان
كانت هناك مصاريف زراعية تخصم بنفس النسبة مما تبقى من
نصيب الفلاح ويتقاضى المالك هذه المصاريف التى غالبا ما تمتل
الكماوى والرى وجمع قطن عينا أيضا من محصولها .

وحلا لسباعى ان يبدأ حياته الجديدة التى أعد نفسه لها
منذ باكر الأيام مع متولى أبو منصور الذى يزرع عندهم منذ
عشرين سنة ونيف - أرسل اليه وبدأ يحاسبه على ملأ من
الناس :

- كم أنتج الفدان عندك

- ياسى سباعى افندى

- بك يا ولد

- ولا مؤاخذه بك الا تعرف

- اعرف ولكن أريد الرجال ان يسمعوا

- سبعة قناطير

- هو ما قلت

- انا لا اكذب عمري وانت تعرف

- سبعة قناطير فى خمسة أفدنة يكون كل محصولك كم

- لا حول ولا قوة الا بالله

- انطق

- خمسة وثلاثون قنطارا

- حلو جدا ٠٠ فلماذا وردت خمسة عشر قنطارا

— عجبية ٠٠ ثلاثة فى خمسة ٠٠ ليست خمسة عشر ٠ وليس
على مصاريق انا اشتريت الكيمساوى ورويت وانا الذى جمعت
أيضاً ٠٠ ماذا تعوز منى ياسى سباعى أفندى ٠

— بك

— بك

— اليس المحمول مخامسة

— كان كذلك حقاً ولكن المرحوم والدك لما رأى الأرض تنتج
عادة خمسة قناطير جعل المحمول ثلاثة قناطير حتى ينال الفلاح
الذى يجتهد حقه وينال المقصر جزاءه عن ضعف المحصول وأنت
نفسك كنت تحصل من المحمول منذ سنوات على هذا الأساس

— ولكنى السنة أريده مخامسة

— السنة هذه غير معقول ٠٠ اما اذا كنت تريد ذلك فى
العام القادم فامرك ولكن رأى ان هذا ليس من مصلحتك وليس
عدلاً أيضاً ٠

— وهل لك رأى

— وكان المرحوم والدك يأخذ به منذ كنت أشيك على كتفى

— اخرس يا ابن الكلب

— ابن الكلب ٠٠ اهى حصلت يا سباعى ٠٠

— بك ٠٠

– من غير بك ٠٠ سلام عليكم

وانصرف متولى ونادى سباعى

– يا ابو سريع

وجاء ابو سريع من الحجرة الأخرى

– نعم يا بك

– قطن متولى ابو منصور يذهب رجالك اليوم ومعهم بعض

رجال تخفأهم أنت وتعبثونه فى الأكياس وتجيتون به الليلة •

– امرك يا بك لكن فقط

– مالك

– سمعت وهو جالس معك من الرجال انه باع قطنه

– باعه ؟

– نعم

– وسلمه ؟

– اليوم وقبض ثمنه

– تذهبون اليه وتطالبونه بثمن سبعة قناطير منه • انا

لا اظلم احدا ٠٠ انما حقى لايد ان اخذه

ولم يجد الرجال الجالسون والذين يقف امامهم ابو سريع

بكل تاريخه فى موقف التابع الخاضع لسباعى بدا من ان يقول

قائلهم :

- عداك العيب

- رجل وابن رجل طول عمرك

- وكثير خيرك لانك لم تؤدبه بثمان قنطارين جزاء طريقته
فى الكلام مع سعادته

ويقول سباعى الذى احسن ان مراسم التتويج الاجرامى قد
تمت له بهذا النفاق

- المؤدب ربنا .. انا اريد حقى فقط .. اذهب انت يا ابو
سريع

- امرك يا سعادة البيك

وينصرف ابو سريع ويأخذ الرجال الجالسون مع سباعى
فى حديث آخر وحين يأتى ابو سريع يبادره سباعى :

- هه .. احضرت المبلغ

- يا سعادة البك هذا الرجل قليل الادب

- كيف ؟

- قال لن ادفع شيئا ولن اخاف منك يا ابو سريع ولا من
سيدك الجديد واعلى ما فى خيلكم اركبوه

ويقول سباعى :

- اهو قال هذا

ويقول أبو سريع

— يا سعادة البك وماذا يجعلنى اتقول عليه وانا لم أخاطبه
فى حياتى الا اليوم

— هيه ٠٠ طيب منه الى الله ٠٠ روح انت يا أبو سريع

والتفت سباعى الى الرجال وقال

— اذا منعته من الزراعة عندى ايلومنى أحد

وقال اكثرهم نفاقا

— وهذا قليل عليه

وقال سباعى فى تظاهر بالعفو والرحمة

— يكفيه هذا وانما أردت فقط ان تكونوا شاهدين

مر على هذه الواقعة يومان فقط واذا بلدة الصالحة تعلو
بها أصوات الأعيمة وما ان تنكتم حتى يعملو الصراخ وتنقلب
البلدة كلها الى بيت متولى ٠٠ لقد أطلق عليه الرصاص وهو
جالس مع زوجته يتناول العشاء وعلى ركبته ابنه الأصغر
الذى كان فى الخامسة من عمره وقد افنى الرصاص ثلاثتهم
وجاءت الشرطة وجاءت النيابة واستقبلهم العمدة والخبراء
وجرى التحقيق ولم يكن أحد فى القرية يجهل المقاتل والأمر
بالقتل جميعا لأن أحدا فى القرية لم يكن يجهل تفاصيل ما حدث
بين سباعى ومتولى ٠ ولكن من ذلك الذى يريد أن يلقى مصير
متولى ٠ وازداد سباعى فجورا فأعلن أن مصاريق الدفن والماتم

عليه • فهو رجله وهو مسئول عن دفنه هو وابنه وزوجته وعن
مآتمهم أيضا • وبلغ أقصى القمة حين وقف يستقبل العزاء يحف
به عن يمين شاكر الابن الأكبر لمتولى وعن يسار عبد القواب
الأبن القالى لشاكر •

وعرفت القرية أو المنطقة أن سباعى قد جلس على عرش
سيء الفكر المجنوم عن الدين الخولى بك •

ثنى سباعى بحسن بن عبد الحميد أبو ديدة الذى أوصاه
بابنه هذا لقاء نصيحته له أن يتزوج ابنة عز الدين • طلب سباعى
الى حسن أن يبيعه أفدنته الثلاثة فرفض حسن •

— ماذا يقول الناس عنى • باع أرض أبيه • خائب أنا
اذن لا اكسب من صنعتى

ويقول سباعى وكأنه ينصحه :

— يا بنى انت فى دكانك ولا تستطيع زراعة الأرض وهم
ينهبونها منك

— كل هذا ولا أنى ابيعها

— بل تبيعها

— أهذا تهديد يا سباعى بك

— ليكون كذلك

— تقتلنى كما قتلت متولى

- وهل أنت كبير

- كبير جدا

- فضوف

ويحرق المحصول في أرض حسن وتسرق بهائمته في ليلة واحدة ويأتي خاضعا وعيناه نيران ولهيب وغيظ وتعرد ولكنه تمرد المكبل الذي لا يستطيع من كبوله فكাকা

- ابيع يا بك ابيع وامري لله

- بنصف الثمن الذي عرضته

- بنصفه !؟

- اذا كان يعجبك

- يعجبني فأبناؤى صفار ولن يجدوا من يربيههم من بعدى .
ابيع . وان قلت بغير ثمن ابيع ايضا
وامر سباعى وكتب العقد .

ثم استدار الى سليمان النواوى . ذلك الرجل الذى اتاح
لأبيه ان يشتري عشرة أفدنة بالدين الذى استدانه منه . ذلك
الرجل الذى قبل سباعى يده يومذاك وغضب أبوه من فعلته تلك
مرتثيا فيها بعدا عن الكرامة . هذا الرجل صاحب ذلك الفضل
عليهم استدار اليه سباعى بجبروته الجديد . وكان الرجل قد
علت به السن واستطاع ان يجمع الى الستة أفدنة عشرين أخرى

وكف عن التجارة خاشيا الا يتيح له ومن جسمه ان يقسم لها
ما تستحق من معنى . ومكث الرجل يربى اولاده بريع ارضه .

استقدمه سباعى الذى لم يستطع ان ينسى ان اياه كان
يستطيع ان يشتري هذه الاقدنة الستة وعف عنها بكبرياء من
لا ينتهز للفرص. وينهش ما ليس له بحق . واستطاع فى جمود
مشاعره وتحجره ان ينسى ان سليمان ابدلهم بالستة اقدنة عشرة
ونسى بمواطفه الصلبة البخيسة صداقة سليمان لابييه منذ وقف
ابوه الى جانبه فى ازمته .

استدعاء :

- اشترى الاقدنة الستة

ومع ان سليمان رجل عجوز خبر من الحياة اوجه الحياة
جميعا ومع انه عاش اغلب عمره تاجرا يرى ما لا يراه الناس
ويعرف من القوم اسافلهم والاكرمين منهم . ويعرف من الاسافل
اشدهم انحطاطا ومن الاكرمين اعلام يدا . ومع انه عرف من
الحياة كل دناءتها وكل ما فيها من قدر ودنس ، ومع انه أصبح
وهو لا شيء يدهشه ولا يثير فيه تعجبا . مع كل هذا . . ففر
الرجل فاه . هذا نوع من فجور الحياة لم يتصور انه ملاقيه . .
ومن هذا الولد الذى قبل يده . ومن ابن أعز صديق له .

وتما لك سليمان امر نفسه ولكن بعد فترة ليست بالقصيرة
سيطر فيها الصمت الصاخب فى نفسه والصمت المتبجح من
محدثه

- اه أنت لم تنس ان اباك كان يستطيع ان يشتريها
وعف

ويقول سباعى فى جراءة :

- عليك نور

- ولكنك نسيت اننى اشتريت لايك عشرة أفدنة بدلا منها

- ونسيت هذا ولن اذكره مهما ذكرتني به

- كم تريد أن تدفع

- بكم تريد ان تبيع

- اما انا فلا أريد أن ابيع . ولكننى تاجر وأعرف أنك

حددت الثمن وأعرف أيضا اننى لن أستطيع ان اناقشك فهل
اعدت العقد

- جاهز

- اين هو

- ها هو ذا

- وهذا توقيعى .. سلام عليكم

- ونقودك

- ارسلها حين تريد مع أبو سريع فهو الذى صنع المصفقة

.. سلام عليكم

- ١١ -

كان صلاح طفلا لا يدري ما يصنعه أبوه وحين بدأ ينطق الكلام ويفهمه وجد أباه فى مكان الصدارة من البلدة جميعا ووجد الناس لا تخاطبه الا بكل اجلال ، وحين بلغ الخامسة من عمره وجد أبوه أن من الطبيعى أن يذهب الى المدرسة وقد أحب أن يبعده عن القرية فقد خشى أن يجتمع بالفلاحين فيعرف منهم فى طفولته ما لا ينبغى أن يعرفه عن أبيه . أما القاهرة فهى بعيدة وابنه هناك سيكون فى تيه عن أمر أبيه وأمر أبيه هناك لا يعرفه أحد . وأن كان سيلتقى فى القاهرة مع ياسين زوج اخته ومع عابدة اخته الا أن أحدا منهما لن يذم أباه الى ابنه وخاصة اذا كان الأب هو المتصرف فى أرضهم . ومهما يكن ظالما لأخته ولخليل متأبيا أن يرفع الايجار الذى ارتفع فى جميع الأراضى الا إنه مع ذلك كان واثقا أن أحدا من الاثنين لن يذم أباه عند ابنه . وسيرى هناك الدكتور خليل عمه ولكن خليل أبعد ما يكون عن ذلك فان من هو فى مثل علمه لا يتصور أن ينكر أباه عند ولده بما لا يرضاه .

كلم سباعى ياسين فى التليفون وطلب اليه ان يبحث له بجوارهم فى المنيرة عن شقة تسكن فيها قدرية وابنها وقدر انه بقرية من ياسين المدرس سيكون فى رعاية منه طيبة خاصة وانه فى مثل سن ابنه عمر وميذهبان مدرسة واحدة . وتم الامر كما اراد تماما وذهب سباعى الى القاهرة ورأى الشقة وكانت فاخرة واسعة فقد استقر فى نفسه ان تكون بيتا له فى القاهرة يلتقى فيها بمن يرى دعوتهم الى غداء او عشاء اذا اقتضت مصلحة ان يدعو الى غداء او عشاء ، وبعد ان وقع عقد الشقة عزم على اخيه وزوجها ان يبيت ليلته عندهما ولكنه رأى ان يبيت عند اخيه خليل . واستقبله خليل بترحاب اخ شريف يحب أخاه ويتغاضى عما يرتكس فيه مما لا يرضاه الشرفاء وبعد العشاء قال خليل :

- قل لى يا سباعى ٠٠ من المؤكد انك عندك من المال
السائل ما تريد

- الحمد لله لا اشكو

- لا تخف انا لا انوى ان استلف منك فالحمد لله انت لا شك
تعرف اننى اكسب من عملى مكسبا يكفينى ويزيد

- ولماذا لم تفكر فى الزواج

- فكرت

- واخترت ؟

- وسأدعوك قريبا لتخاطب لى وتفق على كتب الكتاب

١٠٠ - أعرفها ؟

١٠١ - لا اظن انها ابنة استاذ لى وطبيبة زميلتى

١٠٢ - وستجعلها تعمل ؟

١٠٣ - طبعا هذا امر لا تتصوره انت ولكن هل تظن مصر
تستطيع ان تستغنى عن جهد طبيب او طبيبة .

١٠٤ ويقول سباعى فى دهشة :

١٠٥ - مصر وانت مالك وما لمصر

١٠٦ ويقول خليل فى حسم :

١٠٧ - طبعا هذا موضوع لا شأن لك انت به

١٠٨ - انا من مصر .. الست كذلك

١٠٩ - سباعى اعمل معروف .. يا اخى لكل منا طريق فى
الحياة لا يتوازى معه ولكن يتقاطع .. ولا يمكن ان افهمك
وانت ايضا لا يمكن ان تفهمنى فدع هذا وقل لى . هل عندك
مانع ان تشتري ارضى

١١٠ - مطلقا .. كم تريد فى الفدان

١١١ - انت الذى تسالنى . اننى لو كنت ابيعها لغريب لجعلتك
انت الذى تبيعها عنى

١١٢ - وهو كذلك .. اهتريت

- ادفع الثمن ولن اناقشك فيه واكتب العقد الآن
- وكتب سباعى الشيك وكتب خليل العقد وتمت الصفقة •
- وقال سباعى :
- اين مفتاح شقتك
- فى جيبى
- نم انت اذن وساترك لك المفتاح على هذه المنضدة حيز
اعود حتى تخرج الى عملك ولا توقظنى •
- الى اين انت ذاهب
- الم تقل ان الطريقين متقاطعان
- فقط اردت ان اعلم
- وانت تعلم ولكنك تتخايب على
- ظننت انك ستقضى الليلة معى نسمر فانا لا نلتقى الا نادرا
- انت ستنام
- ما اخبار امى ؟
- قاطعتنى
- ولهذا اسالك ••
- لماذا ؟

- انها قادمة لتعيش معى
- أحسن
- اتظن ذلك
- أصبحت لا تحتمل البلد
- لا يخرج امى نبوية من البلد الا ما لا تطيق
- مادمننا اتفقنا ان الطريقين متقاطعان الا يحس بنا الا يناقش احدهما طريق الآخر
- على كل حال اشكرك
- العفوه علام ؟
- انك جعلت امى تاتى لتعيش معى
- وسارسل لك ايجار أرضها كل سنة
- بل اظنها ستوكلنى فى بيع أرضها هى ايضا
- وعلام توكلك ٠٠ اكتب وخذ العقد وخذ المشيك ولتوقع هى العقد عندما تحب
- وهو كذلك
- وتمت الصفقة ٠٠ وقال سباعى :
- والآن اين المفتاح ؟

— هل أنت مصمم

— لو شغفت ما أشوفه أنا حين اجيء الى مصر لما سألتني
هذا السؤال .. اتظن نفسك عائشا يا دكتور

— علم الله أن حياتي هي الحياة .. ولكن فليتقاطع
الطريقان ولا نتقاطع نحن وخذ المفتاح

— ولكن تقاطع الطريقين لن يمنعك من رعاية صلاح فاني
سأتركه تحت إشرافك وسجلت اسمك في المدرسة ولما لأمره .

— هل رايتني عمرك اتخلي عن واجبي . أنا أعرف واجبي
دائما وصلاح ابني كما هو ابنك

— أعرف ذلك سلام عليكم ..

وخرج سباعي الى سهراته التي بدأ تاريخه معها في
صحبة شعبان والتي أصبح مجيئه الى مصر مرتبطا بها ارتباطا
يوشك أن يكون هو الوحيد .

حين جاءت نبوية الى بيت خليل وأعطاهما ثمن أرضها
سألته :

— ماذا أنت صانع بأموالك

— سأشتري بها كمية من الأسهم

— وماذا تصنع هذه الأسهم

— تدر دخلا احسن من دخل الأرض على الأقل

— لنن فاسمع اشتر بثمان أرضى انا أيضا كمية من الأسهم
باسم أختك فاطمة وأختك عابدة واسمك للذكر مثل حظ الانثيين

— انا محتازل عن نصيبى لهما •

— الله يفتح عليك ويعوضنى فيك عما أصابنى به من
أخيك • فقط أريد الربيع طول حياتى •

— وانا ادفع لك قيمة الربيع واتركى انت الربيع للبنات

— •• اطال الله عمرك ولكن لا، •• ان أعيش على نفقتك
لا مانع فهذا حقى عليك لكن مصروف يدي لابد أن يكون من دخل
مالى انا •• حين أريد أن أعطى أحدا من أولاد أختيك هدية
لابد أن تكون من مالى انا • أعط أنت لأختيك ما تشاء لتعينهما
أما انا فربيع الأسهم يكون لى طول حياتى •

— امرك • وسيكون كذلك •

— ١٢ —

حين اقتربت الاجازة الصيفية كان سباعى فى بيته بالقاهرة
فى المامة هريمة فاذا صلاح يقول له :

— بابا سنأخذ الاجازة الصيفية بعد أسبوعين .

ووجم سباعى فما كان يفكر فى هذه الاجازة فطالعه من
حيث لا يحتسب ودون وعى سأل ابنه :

— وماذا تريد أن تفعل

— اذهب للبلد

— وماذا تصنع فى البلد

— اركب الحمير والعب الكرة .. اننى اريدك أن تشتري
لى كرة اللعب بها مع أصحابى فى البلد

— اى بلد التى تذهب اليها

- بلدنا ٠٠. انا احبها جدا يا بابا
- يا بنى البلد تراب وعفار
- ولكنك تعيش فيها مع التراب والعفار
- شغلى
- رفضت فى العيد واجازة نصف السنة أن تذهب بى الى
هناك ٠٠ ارجوك يا بابا ٠٠٠ والنبي
- الم اجيء اليكم فى العيد
- انت جئت نعم ولكن البلد لم تجيء
- وكيف تريد البلد أن تجيء
- اذهب اليها انا
- وفجأة ومضت فى ذهن سباعى فكرة لم تكن خطرت له
على بال
- انت تلعب مع من طول السنة
- مع اصحابى فى المدرسة ومع عمر ابن عمتى
- وهنا فقط تدخلت قدريّة فى الحديث :
- الله يخليها عابدة لا تتركنى ليلا ولا نهارا! اما ياسين
لفندى فلا بد ان تقدم له هدية عظيمة انه يعامل صالاح كأنه ابنه
عمر وزيادة لا يشغله شيء فى الدنيا ان يعطيها كل يوم الدرس

ويزاجع معهم دروس المدرسة فإذا أحسن صلاح الاجابة اعطاء
مكافاة من النعناع والملبس والشيكولاتة التي لا يخلق منها درجه
ابدا .

والتفت سباعى الى صلاح

— مبسوط منك عمك ياسين يا صلاح

— كل يوم اخذ انا النعناع والملبس والشيكولاته وعمر
لا يأخذ

— انت اشطر من عمر

— بزمان.

وقال سباعى :

— ما رايك أن تذهب أنت وعمر وعمتك عابدة وعمك ياسين
الى الاسكندرية لتصيفوا هناك

والتفت الى قدرية وقال لها :

— وتكون هذه هى هديتنا الى ياسين وعائلته

وقبل ان تجيب قدرية يقول صلاح :

— ما الاسكندرية هذه يا بابا انا لم ارها عمري

ويقول الاب فى سخرية :

— والله يا ابنى ولا انا ولكن ماذا افعل . . الخيبة لها
أحكام

وتقول قصرية وهى مترددة فى السؤال وكأنها تعرف
الإجابة

— لماذا لا تريد صلاح ان يذهب الى البلد

— اريده بعيدا عنها

— الا يتبغى ان يتصل بالأرض

— ليس الآن .. حين يكبر

وفى خوف ولعثة قالت قصرية :

— اذا كنت لا تريده ان يعرف ما تفعله فلماذا تفعله

وفى حسم قال :

— ائت للتى تقولين هذا يا بنت عز الدين الخولى دعى هذا
الكلام لغيرك

— ومن قال لك انى كنت راضية عما يفعله ابى

— انن فما دمت لم تكونى راضية فعن الطبيعى الا يذهب
صلاح الى البلد ..

وحاولت ان تقول :

— ولكن ...

وقاطعها سباعى فى لهجة العاتية اللتى أصبحت طبيعية
عنده
— انتهينا .. لا مناقشة

ونكست قدرية رأسها فى استسلام

- امرك

ومر هذا النقاش على ذهن صلاح وكأنه لغة أخرى غير
التي يعرفها فهو لم يفهم من الحديث شيئاً وكان يفكر أن يسأل
ولكنه حين رأى الطريقة التي ختم بها أبوه الحديث أخذ الرعب
من ملامح أبيه ولهجه فنكس رأسه فى استسلام وراحت عيناه
ترتفعان الى أبيه مخالسة ثم ترتدان الى اسفل كأنما يخشى أن
يراء أبوه وهو يتجراً على النظر إليه . ورمقه أبوه فى حاله
هذه فحاول أن يزيل ما علق بنفسه من أثار الحديث

- وماذا يدرس لك عمك ياسين ؟

- القرآن .

- القرآن ؟

- نعم . فانا أحفظ الفاتحة وأحفظ الكثير من السور .

ونظر سباعى الى زوجته وسألها :

- هل يدرسون لهم القرآن فى المدرسة ؟

وقبل أن تجيب أجاب صلاح :

- لا . ولكن عمى ياسين يدرس لنا القرآن مع دروس

المدرسة .

ولم يجد سباعى شيئاً يعلق به الا أن يقول :

- ما رأيك أن تذهب الى الاسكندرية ؟
- أنا لا أعرفها
- سنعرفها معا
- هل ستبقى معنا هناك ؟
- اطل عليكم كما أفعل هنا ٠٠ هيه ما رأيك ؟
- أريد أن أذهب الى البلدة
- وحسم سباعى الموقف :
- ستذهب الى الاسكندرية
- وفى الصباح توجه سباعى الى الاسكندرية وحين نزل من
القطار سأل عن فندق وذهب الى فندق سيسيل .
- وهناك طلب من ادارة الفندق أن تدله على سمسار شقق
وبدأه :
- أريد شقة
- للمصيف ؟
- طبعاً
- بتقصد مفروشة
- وفكر سباعى قليلا فوجد نفسه لا يفهم السؤال فلم يجد
بدا من أن يسأل :

— ماذا تقصد ؟

وفهم السمسار انه أمام رجل لم يطل الاسكندرية من قبل
فقال :

— هناك شقق يمكن أن تستأجرها طول العام وتفرشها أنت
وهناك شقق تؤجر للصيف فقط وتكون مفروشة ويكون أيجارها
مدة الصيف فقط أو جزءا منه إذا شئت أنت وكيفك .

وفكر سباعى قليلا .

— والشقق التى استأجرها طول العام أفرشها أنا ؟

وقال السمسار :

— نعم وطبعاً تستطيع أن تأتى إليها فى الصيف وفى
الشتاء كما تريد . تصبح شقتك .

— وكم أيجار هذه وكم أيجار المفروشة ؟

— على حسب الحجم والمكان .

— أقصد الفرق كبير بين المفروشة وغير المفروشة ؟

— طبعا المفروشة تكون أغلى بكثير لأنك تستأجرها بفرشها
ولدة ثلاثة أشهر فقط على الأكثر .

— والسنة الجائئة إذا أردت أن أصيف ؟

— نستأجر لك شقة أخرى .

- وأظلل كل سنة أبحث عن شقة ؟
- طبعاً ..
- اذن فأنا لا أريد شقة مفروشة ..
- عظيم .. تريد شقة طول السنة ..
- طول السنوات ..
- طبعاً .. العقد يتجدد من تلقاء نفسه ..
- أريد من هذه ..
- كم تريد أن تدفع ؟ ..
- أريد شقة واسعة وعلى البحر والفلوس لا تهم ..
- وكان ما أراد ..

— ١٣ —

حين صدر قانون الاصلاح الزراعى الأول لم يمس سباعى
فقد كانت ارضه لا تزيد عن المائة فدان الا قليلا وكانت ارض
زوجته تقارب السبعين فداناً ٠٠ اما شعبان فقد كانت ارضه
تقارب المائة والأربعين فداناً ٠٠ ولكنه أحس بما تحمله هذه
القوانين فى طواياها فطلب الى سباعى :

— بع ارضى ٠٠

— ماذا تقول ؟ ٠٠

— انا لست فلاحاً ٠٠ والدولة أصبحت لا تحب الملاك ٠٠

وفكر سباعى قليلاً ٠٠ انه يرى فى كلام شعبان حقاً ولكن
بيع هذه الأرض سيجعل المساحة التى يشرف عليها تنقلص فنظر
الى شعبان طويلاً ثم قال :

— ما رايتك أبيع ارضك ولا أبيعها ؟ ٠٠

— وكيف ؟ —

— اكتبها بأسماء فلاحين آخرين واستكتبهم أوراقا بمبالغ
من ثمنها ..

— الله أكبر .. أحاول أن أهرب من الحكومة فأقع فى أيدي
ناس الله أعلم بذمتهم ..

— أيجزؤ أحد منهم أن يطالب بالأرض ؟ —

— يجزؤ أحد .. ويقول ان هذا البائع هو ابن عز الدين
الخولى وانه اغتصب منا كمبيالات .. لا .. لا يا عم ..
الا هذا .. وأنا ما حاجتى الى الأرض .. بعها يا سباعى ..
واسمع منى نصيحة هذا الزمن يجب أن تعرف انه غير الزمن
الذى نعرفه والله وحده يعلم ما مصير الملاك فيه ..

— والله كلامك معقول ..

— بع أرضى الآن .. وأنت اليوم تستطيع أن تحسن بيعها
قبل أن تضيع منى

— وماذا ستعمل بالفلوس .. تصرفها على إياهن ؟ —

— أنا أحب المتعة ولكنى صاحب أولاد وقد فكرت جيدا ..

— ماذا ستفعل ؟ —

— سأعطى الفلوس كلها للأمير .. وان شئت أن تطعن
على سلمها أنت له ..

— وبعد ..

- سيضعها في أحد مشاريعه وسيعطيني مرتباً شهرياً
أكبر من ريع الأرض خمس مرات وآخر السنة يعطيني بقية أرباحي
ويبقى رأس المال كما هو ٠٠ وحتى يزداد اطمئنانك سيضع المال
باسم وليد وسعية بالنصيب الشرعى ٠٠
- وهو كذلك ٠٠

- كم يستغرق بيع الأرض ٠٠؟

- لو كان غيرى الذى يبيع لاستغرق بيعها شهوراً قد
تصل الى سنوات أما أنا ففي مدى شهر واحد سأكون قد بعت
الأرض ٠٠

وانفذ سباعى وعده وكان الأمر ميسوراً بالنسبة اليه فقد
أمر كل مستأجر فى الأرض أن يشتري الأرض التى يزرعها ولم
يبالغ فى الثمن وسارع المستأجرون يشترون فقد كانوا على ثقة
أنهم لن يحصلوا على هذه الأرض تطبيقاً لقانون الإصلاح
الزراعى الذى سمح للمالك أن يستبقى مائتى فدان إذا لم يكن له
أبناء وثلاثمائة إذا كان أباً ٠٠ وشعبان أب وأين مائة وأربعون
من ثلاثمائة ٠٠ ولم يكن عسيرا على المستأجرين أن يحصلوا
على اثمان الأرض فمن لم يكن منهم ميسوراً كان يسيراً عليه أن
يستدين المبلغ أو يتقاسم الأرض مع ميسور على أن يسدد هو
ما عليه على مدى الأيام ٠٠

باع سباعى الأرض جميعاً وأبلغ شعبان بأن ثمن الأرض
جنيعة معه ٠٠ وقال شعبان فى فرحة :

- يعمر بيتك ٠٠ ما رايك ٠٠ الأمير هنا هذه الأيام سادعوه
للغداء عندك بعد غد وسيتم كل شئ أمامك ٠٠

— وهو كذلك .. يا مرحبا ..

وتم الأمر كما رتبته شعبان وأصبح شعبان لا يملك قيراطا
واحدا من الأرض ..

كان سباعى قد انضم الى التنظيمات السياسية الجديدة
ولهذا لم يكن عجبيا أن ترشحه الحكومة فى دائرة عز الدين
الخولى .. وبدأت الانتخابات .. وطلب صلاح أن يأتى الى
البلدة ليكون مع أبيه أثناء مروره بالدائرة .. وأحب سباعى أن
يشهد صلاح أباه والناس تهتف باسمه والخطب تلقى فى مديحه
.. وجاء صلاح ورأى عجباً .. رأى أباه يمر بالدائرة ولكن
محوطاً دائماً بالسلاح يشهره أبو سريع ورجاله ورأى فى نقاء
صباه أن الناس تهتف ولكن العيون والوجوه لا تهتف .. وسمع
الخطب تلقى ولكن الخطباء يتكلمون مذعورين .. فالأوجه منهم
باسرة وعلى الجبين منهم حسرة وفى أصواتهم رنين المقيهورين
من الرجال فعل المغلوب على أمره لا اختيار له ..

قليلا مابقى .. وعجب أبوه ألا يفرح صلاح بما يرى
واستبعد أن يكون قد وصل ببصيرته الى خفسايا النفوس ..
وما كان يتصور أن الروح الشفيفة ترى من الأشياء ما تخطئه
العيون .. وحزر أن يكون أحد قد هجس فى إذن صلاح بجبروت
أبيه ولكنه استبعد هذا الحزر أيضا فمن ذلك الذى يجرؤ على
أن يقدم على هذه الهمسة .. إذن فلماذا يطلب صلاح أن يعود
الى القاهرة ؟

— ورائى مذاكرة ..

٠٠؟ - ألا تريد أن تنتظر حتى تعرف النتيجة ؟

٠٠ - المرشح الآخر واضح الضعف وأنا واثق من نجاحك

وسافر صلاح عائدا الى القاهرة وفي نفسه الكثير مما لو أراد أن يعبر عنه لما استطاع ٠٠ انها مجرد مشاعر ٠٠ ان حاول ان يسأل سته أو عمه أو عمته فانهم جميعا سيطلبون اليه الا يفكر فى هذا الذى يغشى ظنونه وكيف لأم أو لأخ أو لأخت أن يشوهوا ابنهم أو أخاهم أمام ابنه ؟

طوى نفسه على ما بها وصمت ولكن نفسه أبت عليه هذا الصمت ٠٠ قال لعمر :

٠٠ - يا أخى سبحان الله ٠٠ هناك شيء فى البلدة لا أعرف كيف أقوله

٠٠؟ - ماذا

٠٠ - الناس تخاف من أبى

٠٠؟ - وماذا فى هذا

٠٠ - الكلام معك لا يجدى

وانتظر فرصة فى فسحة الظهيرة وذهب الى زوج عمتنه فقد أصبح هو وعمر تلميذين فى المدرسة نفسها التى يعمل ياسين مدرسا بها ٠ وكان صلاح يحس نحو ياسين بنوة صادقة يمازجها اعجاب شديد ٠٠ فقد استطاع ياسين أن يرسى فى نفسه حب الله والطمأنينة اليه بما علمه من الدين وما حبه فى

القراءة وفى كل المعانى التى أصبح صلاح يجدر فيها سموا وقربا
من للسماء ٠٠ كما استطاع أن يجعله يحب أن يذكر لا للنجاح
ولكن للعلم ٠٠ وان كان صلاح فى سنه هذه الباكورة المتشوقة فى
مطالع الشباب الأولى الى الغد لا يستطيع أن يقدر فضل ياسين
عليه بالعقل والمنطق الا أنه كان يشعر بهذا الفضل ببقاء هذه
السن التى تتمازج فيها الطفولة مع الشباب ٠٠

- عم ياسين ٠٠ اريدك فى كلمة ٠٠

وكان ياسين فى حجرة المدرسين فقال :

- تعال ٠٠ وقل ٠٠

- لا ٠٠٠ اذا سمحت ٠٠٠ تتمشى فى الفناء ٠٠٠

ورأى ياسين على وجه العصبى الذى رياه خلجات لم
يشهدها عليه قبل اليوم فقام اليه ٠٠ وقال صلاح فى لجلجة :

- لا اعرف كيف أبداً ولكن أنا لم اكمل الانتخابات مع أبى .

- اعرف ذلك وحسنا فعلت حتى لا يفوتك شيء من الدراسة .

- هذا ما قلته له ولكن ليس هذا ما جعلنى أترك المعركة
الانتخابية ٠٠

وصمت ياسين قليلا ثم قال :

- الحق أنا دهشت لهذا الذى فعلته ٠٠ فالشباب فى سنك
يحبون هذه المعارك ويسمعون اليها فما الذى جعلك تترك هذه
الاجتهة ٠٠٩

- كانوا يهتفون لأبى ويلقون له الخطب ويدقون الطبل
والزمار ..

- ألم يسرك أن تجد أباك محبوبا ؟

- هذا هو ما أرجعنى ..

- ألا تحب أن تراه محبوبا .

- بل لا أتعنى شيئا فى حياتى قدر أن يكون أبى محبوبا .

- ألم يكن ما رأيته علامات الحب ؟ ..

- بل هو علامات حب ..

- إذن ؟ ..

- علامات غير صادقة .. رأيت فى العيون خوفا ورأيت
فى القلوب رعبا .. لم يكن الحب هو الذى رأيته ..

وأطبق الصمت بين المتحدثين تماما .. أما ياسين فلا
يدرى ماذا يقول .. يقول أنه انقطع عن الذهاب الى البلدة حتى
لا يسمع ما يصنعه نسييه بالناس .. أيرى لهذا الفتى الغض
كيف جمع أرضه وهو لم يرث عن أبيه الا عشرين تقريبا وما ذنب
صلاح فيما صنع أبوه .. ولكن هو يعرف منزلته عند صلاح ولا
يحب أن تهتز هذه المنزلة .. من أجل مستقبل صلاح نفسه لا ينبغي
أن تهتز هذه المنزلة .. وإذا كذب عليه اليوم فهو فى غد سيعرف
الحقيقة فكيف ستكون نظرتة اليه .. ربما يدرك ويقدر ولكن اذا
أحس أن استأذنه وزوج عمته الذى كان منه دائما بمكان الوالد

يكذبه فمن يصدق اذن واين ينشد الصدق اذا لم ينشده عند
الانسان الذى يعتبره بغريزته الصافية اباه الروحى .. ولماذا
لم يوجه هذا السؤال الى عمته بل لماذا تحرى أن يأخذ فى هذا
الحديث معه فى المدرسة وهو قادر دائما أن يحادثه فى البيت
الذى يعتبره بيتا ثانيا له .. او لماذا لم يسأل جدته أو عمه ..
لقد خشى أن يخرج أحدا منهما والوحيد الذى القى اليه بثقتيه
هو انا ..

وتقبل صلاح الصمت الطويل متصورا أنه لم يستطع أن
يحسن البيان عما يجيش ب صدره .. وأخيرا تكلم ياسين ..

- صلاح .. اسمع .. انك غير مسئول عن أبيك ..

- ولكنه مسئول عنى ..

- ولكنك غير مسئول عنه ..

- ولكن الناس تنسبني اليه وأنا ابنه فعلا ..

- هذا يجعله مسئولا عن الانفساق عليك ولكن حين تخرج
الى الحياة ستكون وحدك فى مواجهتها فهى لن تعرف الا انت ..
وانى أراك تخسن اعداد نفسك لمواجهتها وحينئذ لن يقول الناس
من أبوه وانما سيتعاملون مع موقفك منهم ومع موقفك من
الحياة ومن البشر ومن الانسانية .. وحينئذ يصبح أبوك أيضا
وهو غير مسئول عنك .. انه لم يقصر فى شألك ..

- وهل المسئولية مال فقط يا عمى ياسين أفندى ؟ ..

- انه اطمان انك معى وانى احسن القيام بشئانك وانا
لحسن حظه او لحسن حظك مدرس ايضا والتعامل مع الناشئين
هو صناعتى وليست صناعته ..

- اسمع يا عمى ياسين افندى انك اجبت احسن اجابة
وانى اشكرك ولقد قلت اكثر مما توقعت ان اسمعه منك .. لن
افتح هذا الموضوع معك مرة اخرى ..

ودق جرس المدرسة وذهب المدرس الى مكان المدرس
والتلميذ الى مكان التلميذ .

توفيت نبوية واتصل خليل باخيه واخبره :

- ساقيم الماتم وانتظركم ..

- لا تقم الماتم ..

- ماذا ؟! كيف ؟!

- لقد طلبت ان يكون العزاء فيها امام بيتى ..

- امرها .. اجيء فوراً ..

- بل انتظر ..

- ماذا ؟!

- لقد طلبت ايضا ان تدفن الى جانب ابنى فاعد مكانه
وتعال لتتقبل العزاء ..

حدث انفصال سوريا وصدرت القوانين في مصر بمصادرة شركات وأموال ٠٠ وهكذا فقد خليل أغلب أمواله فقد كان يضع كل ربحه من الطب في الأسهم شأن أغلب الأطباء وكان رأيهم أنهم ليسوا فلاحين وأن عملهم في العيادات وفي المستشفيات لن يسمح لهم أن يباشروا أرضهم حتى ولو كانوا من هواة الزراعة ٠٠ فإذا أرادوا أن يبنوا عمارات فهم قد رأوا ما حل بأصحاب العمارات من أهوال فلم يكن أمامهم إلا الأسهم تعطيم عائدا دون أن تتطلب منهم مباشرة ودون أن تعرضهم لما يتعرض له أصحاب الأملاك كافة أرضا كانت هذه الأملاك أو كانت عمارات ٠

وهكذا لم يبق للدكتور خليل إلا أوशल وضاع عليه جهد السنين الطويلة التي عاناها والتي كان يأمل أن يجد فيها موئلا حين يفكر ابنه وهذان في الدراسة بالخارج أو حين يأتي اليوم وتزوج ابنته نبوية ٠

سبحانك يا رب ٠٠ أهذه هي العدالة الاجتماعية ٠٠ أخى الذى جمع ماله بهذه الوسائل لا يمسه شيء وأنا الذى جمعت مالى بما يرضيك أصاب بهذه المصيبة ولكنه سرعان ما نقض عن نفسه هذا الخاطر ٠٠ أن الله عادل والذى أنزل بى هذا الخراب بشر من البشر ٠٠ ولا يجوز لى أن أنفس على أخى أنه لم يمس ٠٠ ولكنها هواجس نفسى وليس لى فيها حيلة ٠٠ الأمر لله من قبل ومن بعد ٠٠

أما فاطمة وعابدة فقد أصابتهما القوانين فى دخلهما ولم تصبهما فى رأس المال فقد كان بطبيعته أقل من الخد الأدنى الذى أعفاه القانون ٠٠

ولكن المصيبة الحقيقية هي تلك التي نزلت بعد أيام بقدرية زوجة سباعى الذى أصبح عضوا بمجلس الأمة .. فقد صدر قرار بمصادرة أموال أبناء المرحوم عز الدين الخولى وابنته .. ونزل القرار بسباعى فاجعة قاصفة .. وراح يطرق الأبواب بكل الوسائل التى يستطيعها ولكن هيهات .. لا سبيل .

ليس عجيبا أن يكون سباعى وحده هو الذى أحس بهول الكارثة فقدرية لم تكن تدرى عن الأرض شيئا وهى تعيش فى حمى زوجها وتعلم أن شيئا لن ينقصها وما كانت مطالبتها تزيد عما تحتاجه حياة طيبة ليس فيها هوان وليس فيها أى بذخ .. أما المشاعر التى كان من المفروض أن تشترك فيها مع زوجها فهى لم تكن موجودة بينهما فى أى شيء حتى تجمع بينهما فى هذه الكارثة .. وبلطف من الله كانت قدرية تحس أن غنى ابنها صلاح لن يكون بمال أبيه وإنما بعلمه الذى ظل متفوقا فيه دائما . وهو فى هذا العام مقبل على امتحان الثانوية العامة وهى تريد أن يكون الصفاء مضيما على البيت حتى لا تتأثر نفس صلاح بأى عامل خارجى ..

أما صلاح فلم يكن يعرف عن أرض أبيه شيئا وإنما هو مشغول بالعلم وبالقراءة وبالشباب وبصدقاته فى المدرسة يريد أن ينسى ما وسعه الجهد ما رأى من خوف الطباليين والزمبارين والهاتفين لأبيه وأصحاب الخطب التى كانوا يلقونها فى مدحه وقد وجد بغيته بالإقبال بالحياة على الحياة .. وألقى نفسه فى دفاعها يتعلمها منها وما يكتب الكتاب وما يؤلف الفنانون فى الموسيقى والرسم .. ومن التاريخ الذى كان يعتبره السيرة الذاتية للحياة كتبها عنها أبناء لها منهم الصادق ومنهم المتحمس

الذى يميل به تحمسه عن الصدق الى الهوى • وكان يحلو له ان يرى تصارع هؤلاء المتحمسين ويرى كلا منهم وهو ولقف على طرف قصي من اطراف الحقيقة وعرف صلاح التيارات الدينية والتيارات الملحدة •

وناقش كل الآراء مع عمه ياسين وكان يقبل رأيه حيناً ويرفضه أحياناً ولكنه كان يحترم الرأي وصاحبه دائماً •

وحين صودرت أموال أمه كان يدرك أن هذا لن يؤثر على حياته فى شيء ولم يكن يهيمه الا أن تظل حياته كما هى حتى يتم تعليمه ثم يتفرغ بعد ذلك لما يحاول أن ينسأه مما رآه فى الانتخابات • • فموقفه الذى اتخذه بالتباعد عما رآه فى الانتخابات وعما استشفه من حديث ياسين لم يكن الموقف النهائى له وإنما كان موقف الذى يؤجل المواجهة الى اليوم الذى يستطيع فيه أن يواجه وهو قادر حتى تكون للمواجهة يومذاك قيمة ولا تكون مجرد احتجاج كاحتجاجات هيئة الأمم • •

ولم تكثف الأيام بهذه الصاعقة تنزلها بسباعى بل نزلت به صاعقة أخرى فقد صدر أمر بترحيل أبو سريع الى جبل الطور مع المجرمين الذى يخشى على الأمن منهم • وراح سباعى يبذل مساعيه للإفراج عنه وفى هذه المرة نجح سعيه وعاد أبو سريع الى البلدة وأمر سباعى فاستقبله الطبل والزمر والفرح ولكن ما هى الا أيام لا تصل الى الشهر حتى جاء النبأ لسباعى أن أبو سريع قتل وهو عائد فى الليل من البندر • وحاول سباعى أن يتماسك وجعل سلام كبير مجرميه بعد أبو سريع ولكن أين الموشل من الغمر وأين التلميذ من الأستاذ •

— ١٤ —

التحق صلاح بكلية الحقوق وقد انتسب اليها عن رغبة
وليس بإرغام من المجموع فقد كان مجموعته يؤهله لأى كلية
يختارها وهناك تعرف بأصدقاء جدد الى جانب من التحق معه
بالكلية من زملاء دراسته الثانوية .. وكانت معه فى نفس
السنة عديلة • أعجب بها منذ وقعت عينه عليها • وما أيسر
ما عرف اسمها عديلة عبد الغنى الزاهد • ولكن فى زحام الطلبة
لم يكن يعرف عن أبيها شيئا الا اسمه أما وظيفته • أما بلدته
• ولكى ماذا يهمنى من وظيفته أو بلدته • وماذا يهمنى أيضا
من عديلة • انها جميلة فقط • وأنا لست قادما الى هنا لأجيب
فللحب امكنة أخرى • ولكن البنت حلوة • وحلاوتها جعلتنى
اعرف اسمها والأمر عندى ينتهى الى هذا الجد •

ولننظر بعد ذلك فى أمر هذه الكلية التى تحمل اسما من
أشرف أسماء التاريخ • الحق وهو اسم من أسماء الله الحسنى
• وان من أسمى معانى الحياة أن يعرف الانسان الحق •
ويقف عنده • ترى لو لم تحدث لى هذه الحادثة التافهة فى أول

سنة لى فى المدرسة الاعدادية اكننت انتسبت الى كلية للحقوق ٠٠
من يدري ٠٠ لماذا لا تريد هذه الحادثة أن تفارقنى ٠٠ اهى
حادثة ٠٠ انها واقعة صغيرة ٠٠ ولكنها فى حياتى كانت حادثة
بل هى الحادثة الوحيدة التى ارتكبتها لماذا لا تريد أن تبارحنى
٠٠ كان ياسين افندى يدرس لى القرآن فى الليلة السابقة على
هذه الحادثة وكان يشرح لى أن السرقة حرام وأن الذى يسرق
يعاقبه الله ٠٠ وفى اليوم التالى كان علينا حصة حساب بعد
الفسحة مباشرة ٠٠ وبدون أى مناسبة ذهبت الى الفصل قبل أن
ينق جرس الحصة وجلست الى الدرج اعيد النظر فى واجب
الحساب ووجدت زميلى عبد التواب تاركاً قلم حبر على درجه ٠٠
القلم رخيص كل الرخص ٠٠ ولكننى قلت فى نفسى سأمسك هذا
القلم وأرى ان كان الله سيعاقبنى أم لا ٠٠ وبفكرة السرقة وحدها
اخذت القلم ٠٠ ربما لو كنت اخذته دون تفكير فى السرقة كان
الأمر قد اختلف وانما أنا استوليت عليه بقصد السرقة وأعلنت
هذا لنفسى ٠ وبدأت أوضح بالقلم ارقام مسألة حسابية من مسائل
الواجب ٠٠ أمر عجيب ٠٠ القلم جديد ٠٠ فما هذا الذى حدث ٠٠
كيف انكسر دون أى ضغط منى عليه ثم انتشرت الحبر منه على
الواجب كله حتى لم يبق فى الصفحة مكان لم ترتب عليه بقعة
حبر ٠٠ اكل هذا الحبر كان فى هذا القلم الصغير ؟

عرفت الحياة بعد ذلك وعرفت أن الله لا يعاقب كل السارقين
من الحياة فى الحياة وانما عقابهم فى الآخرة ٠٠ وجعلتنى هذه
المعرفة أوقن أن الله يرعانى بمعانيته وأنه أنزل بى للعقاب عند أول
سرقة لى ٠٠ وهو وحده يعلم أى طريق كنت سأسير فيه لو لم
يردعنى فى بادرى الأولى ٠٠ أم ترى من حقى الآن أن أقول فى
حادثنى الأولى والتى أصبحت أخيرة ٠

اهذا ما جعلنى اختار كلية الحقوق ٠٠٩. ان الذين انتسبوا اليها معى عن اختيار قلة نادرة فاعلم زملائى فيما رعى بهم اليها المجموع ٠٠ لماذا ٠٠ لماذا يرفضون الالتحاق بكلية الحقوق ٠٠ اترانا اصبحنا فى زمن لا حقوق فيه ٠٠ هل ضاع فى زماننا حق الله وحق الوطن وحق الأسرة وحق الناس ٠٠؟ والا فما انصراف الشباب عن كلية الحقوق لا يلتحقون بها الا مرغمين .

ربما جعلنى هذا التفوق فى دراستى ٠٠ ولكن هل التفوق على الضعاف قوة ٠٠ ليس النجاح فى الكلية اذن هو المهم ٠٠ انما يوم اكون محاميا او وكيلًا للنياية والتفوق على الظلم وعلى الجشع وعلى نفسى ٠٠ يومئذ استطيع ان ادعى لنفسى اننى تفوقت .

كان صلاح حريصا على ان يزور عمه كل فترة وكان يجد منه لقاء رحبا . وقد حرص ان يذهب اليه بعد القوانين التى اتت على الجانب الأكبر من مدخراته وفرح بعمه وهو يجده يقوم بعمله فى العيادة وكان شيئا لم يكن .

— المصيبة يا صلاح ليست فى حجمها وانما فى الحجم الذى تحس به انت وفى المكان الذى تنزلها فيه من نفسك ٠٠ وقد علمتنى مهنتى ان ارى الناس . وجدت بعض المرضى مصابا بالأنفلونزا وهو مع ذلك هالغ مرعوب كأنما هى كارثة الكوارث ٠٠ وجدت آخرين من ذوى العقول الناضجة والعلم الواسع والايمان الراسخ مصابين بأمراض تجعل الموت اليهم اقرب من حبل الوريد ومع ذلك كنت اجدهم كالجبال الرواسى لا يحركها شيء بل وجدت من هو سعيد فرح انه سيلقى ربه ٠٠ فما المال

يا بنى ٠٠ أنا الذى جئت به وأنا القادر على أن أجيء به مرة
أخرى ٠٠ وإنما قل لى ما الذى جعلك تأتى وقد لقتريت من
امتحان الثانوية العامة ٠

- أحببت أن أطمئن عليك ٠٠

- لفظة عظيمة منك هذه يا أبو صلاح ٠٠ أنت مصمم على
الحقوق ٠٠

- إن شاء الله ٠٠

- حين تعرف أساتذتك أخبرنى عنهم فإن لى أصدقاء
كثيرين فى الكلية ٠٠

- وماذا أريد منهم ٠٠؟

- أعرف همك ٠٠ ولكن تعرفك بهم يجعلك تقصد اليهم
فى غير حرج إذا أردت شرح شئ أو التوسع فى موضوع على
كل حال التعرف بالأساتذة ينفع ولا يضر ٠٠

- فعلا ٠٠ حاضر سأخبرك بأسمائهم ٠٠ ولكن أين أنا من
أسمائهم وأنا لم أمتحن بعد فى الثانوية العامة ٠٠؟

- نجاحك مضمون وحتى أكون أكثر تأكدا تفضل بالذهاب
الى المذاكرة ٠٠ ولا أراك الا بعد الامتحان ٠٠ وأرجوك بل أمرك
أن تأتى الى فى اليوم الأخير من الامتحان لأطمئن ٠٠

- حاضر ٠٠

- قبل سفرك إلى الاسكندرية ٠٠

- حناضر ٠٠

ولم يستطع صلاح أن يجد عمه فى العيادة يوم انتهى من الامتحان ومات إلى الاسكندرية وعرف النتيجة والتحق بالكلية وعرف أسماء الأساتذة وأحس أنه تأخر عن زيارة عمه فقصده إليه بعد أسبوع من الدراسة كان مشغولا فيه بالتعرف على الحياة الجامعية الجديدة عليه .

ماذا يدبر القدر ٠٠ ما الذى أتى بعديلة هنا ٠٠ ومن هذا الذى بجانبها ٠٠؟ أيسلم عليها ٠٠ وكيف ٠٠؟ أنها تعرفه فقد رآته مدة الأسبوع كله وهو يحملق فيها ٠٠ جمع أطراف شجاعته :

- مساء الخير يا أنسة عديلة ٠٠ أنا زميلك صلاح سباعى وهدان ٠٠

- مساء الخير ٠٠ أهلا وسهلا ٠٠ هذا أبى ٠٠

وقال الأب وهو يحاول أن يرغم نفسه على تقبل الأوضاع الجديدة للشباب :

- أهلا يا بنى ٠٠ مساء الخير ٠٠

وأبى صلاح أن يفوت الفرصة :

- خيرا ٠٠ ماذا تفعلين هنا ٠٠؟

- أبى متعب قليلا ٠٠

- وهل البك الوالد من زبائن الدكتور خليل ؟ ٠٠

قال الأب في اختصار من يريد أن ينهى الحديث :

— نعم ..

وقال صلاح في دهشة :

— هذا شرف لنا كبير ..

ودهش الأب لحظة ثم قال :

— ما اسمك قلت ؟ ..

وابتسم صلاح وقال :

— نعم وهدان جدى هو والد الدكتور خليل وهدان ..

وابتسم الأب وأحس بنوع من هدوء بعد بؤادر ثورة من
غضب :

— أهلا يا بنى ونعم الناس .. أنا أعرف عنك منذ بدأ
اشتغاله بمهنة الطب .. كنت أنا موظفا صغيرا لا أحتمل أجر
الدكاترة الكبار ودلنى عليه أحد الزملاء .. ونعم الناس يا بنى ..

— سلامتك يا عمى ..

— والله يا بنى الكبد

ووجد صلاح نفسه قد نجح نجاحا باهرا فليس احب
للمريض من أن يروى عن مرضه ويجد من يسمع له ..

— ١٥ —

لو ترك سباعى مقتل أبو سريع يمر دون أن يهتم به اهتمام
الإنسان على خاصة حياته لكان معنى هذا قاصدا بالنسبة له ..
فإن هذا يحمل فى طوإياه تهديدا مباشرا لسباعى .. والقائل
يعلمه أنك لست عنا ببعيد نقتلك حين نشاء فحياة سباعى إذن
أصبحت أسهل شيء منألا ولم يكن سباعى يحب أن يموت ..
والأمر الذى لا شك فيه أن مقتل أبو سريع ضياع لهيئة سباعى
وأعلان أنه لم يصبح مرهوب الجانب فى المنطقة .

سارع سباعى الى الأمور :

— ارى انكم لم تهتموا بالبحث عن قتلة أبو سريع ..

وكان الأمور يعرف كل شيء عن سباعى وصلة أبو سريع
به فقال له فى جفاء جريح :

— هذا ليس من شأنك ..

— ١٢٥ —

- أنا عضو مجلس أمة ومن واجبي المحافظة على الأمن .

- الظاهر ان سيادتك لا تعرف واجبات وظيفتك وحقوقها .

- نتعلم من سعادتك ..

- بل ويعلمك تلامذتي يا سيد سباعي فالذي أعرفه عن

مدى ثقافة سيادتك يسمح لتلامذتي أن يعلموك ..

- أنا عضو مجلس أمة ..

هذا لا يدل على ثقافة ..

- وابني طالب في كلية الحقوق ..

- وهذا أيضا لا يدل على أن سيادتك مثقف .

- إذن ؟ ..

- إذن فيجب أن تعلم أن وظيفة عضو مجلس الأمة داخل

مجلس الأمة فقط وليست خارجه .. وان المحافظة على الأمن

من اختصاص وزارة الداخلية فقط وإذا رأيت علينا اهمالا

فتستطيع أن تتقدم بسؤال أو استجواب داخل مجلس الأمة ..

ولكن الصلة الرسمية بيني وبينك مقطوعة تماما .

كارثة أخرى ، لم يكن رجال الداخلية يكلمونه بهذا الجفاء

وهو أشد ما يكون حاجة الى هؤلاء الرجال .. وان يكن سباعي

الذي طغى وتجبر قد صار متعودا أن يقول فلا يناقشه أحد فان

سباعي الذي قبل يد سليمان النواوي مازال في داخله فان المجرم

الهميم عن الحق هو مع جبروته أشد الناس هلما إذا واجهه الحق
أو واجهته السلطة ٠٠ والرجل الذي ينافقه الجبناء خوفاً من
بطشه هو أكثر الناس خبرة بالنفاق إذا اقتضى الأمر منه نفاقاً ٠٠

وأحسن سباعي من كلام المأمور المستخف كل الاستخفاف
بمنصبه في البرلمان أن الحكومة تريد أن تؤم الأجرام كما أمت
الشركات والأرض ٠٠ أنها حكومة لا تريد أحداً أن يسرق أو يقتل
أو يذل الناس غيرها هي ٠٠ هي وحدها صاحبة الحق في السرقة
والقتل والاذلال ٠٠ وهي لا تريد أن تراعى زملاءها من الأفراد
والأفما لهذا المأمور يخاطبه بكل هذه الاستهانة ٠٠

وهكذا لم يكن عجباً أن يتصاغر سباعي فإذا هو قطيطة
مذعورة وما أسرع ما قال :

— ومن قال يا سعادة البك اننى قصدت اليك بصفة
رسمية ٠٠ ومن قال يا سعادة البك اننى لا احب ان اتعلم منك
ما لا أعلمه ٠٠ انت راجل سمعتك مثل المسك وحياة النبی ٠٠
والديرية كلها تحبك وتعمل لك ألف حساب ٠٠

— ياسيدى كثر خيرك ٠٠ مادام الأمر كذلك فانا اقول لك
ما تشاء عن مقتل أبو سريع ٠٠ أعداء أبو سريع كثيرون وهو
كما تعلم جيداً مجرم محبوف ٠٠

وضغط المأمور بقوة وهو يقول كلمة « جيداً » وأصابته
الكلمة موضعها تماماً من كيان سباعي وأكمل المأمور حديثه :

— له غند الكثيرين ثارات وما أكثر ما قتل وما أكثر ما
سلب وتهب ولذلك فأننا في هذه الحالات نعلم عظم اليقين أن

البحث عن قاتله والعثور عليه أمر يوشك أن يكون مستحيلا ..
قد يكون القاتل أحد رجاله أنفسهم فالذى يقتل مرة يسهل عليه
أن يقتل لأقل سبب .. قد يكون أساء الى سلام مثلا فقتله سلام
أو قد يكون سلام طامعا أن يحل محله فى رئاسة العصابة كما
حصل ..

وقال المأمور الجملة الأخيرة فى تودة وفى تفصيل واضح
فيه القصد الذى يهدف اليه وأدرك سباعى الإشارة .. أولاد
العفريتة هؤلاء لا تخفى عليهم خافية ..

وأكمل المأمور كلامه :

— ولهذا فقد قمنا بكل التحريات الممكنة ولم نصل لنتيجة
لأن الذين نسألهم واحد من ثلاثة إما لا يعرف شيئا وهذا طبعاً
لن نأخذ منه حقاً ولا باطلاً ، وإما يعرف وفرحان وهذا أيضاً
سيبالغ فى إخفاء ما يعرفه ولا أمل لنا فيه ، وإما يعرف وخائف
من القاتل أن يقتله وهذا لا حيلة لنا معه .. فإذا كنت سيادتك
تعرف شيئاً وتريد أن تمدنا به أكون شاكراً ..

— شيئاً ... مثل ماذا يا حضرة المأمور ؟ ..

— مثل أبو سريع قتل من اغتصب مال من حرق غيط من هذه
المعلومات .. ستفنعنا كثيراً ..

يا نهاز اسود من الخبر الكوبياً .. هذا الرجل يريدنى أن
أقول إن أبو سريع قتل متولى أبو منصور وأحرق غيط حسن
ابن عبيد الحميد أبو ديدة وهدد سليمان الفواوى والسؤال التالى
من الذى استفاد من هذه الجرائم .. وأروح أنا فى ستين

مصيبة .. أنا غلطان من الأول أن جئت لهذا الداهية .. تنبه
سباعى الى ما يحيط به فوجد نفسه على شفا أن يكون متهما وهو
الذى جاء معتلًا بالكبر ليعلم الداخلية واجباتها .. قال للمأمور:

– وهل تظن سعادتك اننى أعرف شيئًا وأخفيه ؟

– من جهة أظن .. نعم أظن ولكن للأسف لا دليل عندى
على الاطلاق .

– ومن أين هذا الظن ؟

– هذا عملنا يا سيد سباعى .. أن نبدا بالظن .

مصيبة سوداء .. الرجل يهددنى تهديدًا صريحًا .. لا ..
القيام أحسن حاجة لعملها الآن .

– الحمد لله يا سعادة المأمور انك تظن فقط .. وستعرف
مع الأيام انك لست محققًا فى ظنك .

– هذا ما أرجوه يا سيد سباعى .. لأن الظن فى أعضاء
مجلس الأمة الذين رشحتهم الحكومة وعملت على انجاحهم أمر
لا نحبه نحن العاملين فى نفس الحكومة .

– ربنا يديم المودة يا سعادة البك .

– هى دائمة طالما أنت مع القانون ولست ضده يا سباعى .

– استأذن أنا ..

– مع ألف سلامة ..

لا امل له اذن ان يعرف قاتل أبو سريع من الجهات الرسمية
.. لم يبق امامه الا تحريات الخاصة وقد بدأها فور عودته .

- سلام .. اليس بينك وبين أبو سريع عيش وملح ؟

- وعيش ودم وحياتك ياسعادة البك .

- فكيف تترك قاتله بغير عقاب ؟

- اعرفه ويموت قبل ان تطرف عينه ..

- اليس من واجبنا نحن ان نعرفه ؟

- وماله .. نبحث ..

- فى البلد هنا أولا .. شف لى أين كان حسن ابن
عبد الحميد أبو ديدة وأين كان شاكر وعبد التواب أولاد متولى
أبو منصور .. وأين كان سليمان النواوى . طبعاً هو لن يقتل
بيده وإنما اعرف لى من زاره أو هو زار من .

- يا سعادة البك سليمان لا يخرج من الدار مطلقا ..

- اعرف لى من زاره ..

- أمرك ..

أما حسن أبو ديدة فهو منذ اغتصب منه سباعى الأرض
لا يبرح مكانه يحاول أن يعوض بالعمل ما ضاع من ريع الأقدلة
.. وقد اشترى بثمن الأرض حجرة بجانبه وفتحها على للدكان
فاتسع المكان وما ان بلغ ابنه الأكبر عبد الحميد السن التى

يستطيع فيها أن يتعلم الصنعة حتى يجلسه معه وراح يعلمه
الخيطة بكل ما يملك من مهارة ٠٠ كان الطفل ذكيا واستطاع أن
يكون تلميذا موفقا لأبيه وفى نفس الوقت أرسل ناصح ابنه
الأصغر مع ابنتيه الى الكتاب وحين أتم ناصح حفظ القرآن أرسل
به الى الأزهر الشريف حتى يستطيع أن يفى بنفقته الى نهاية
التعليم .

وكان عبد الحميد الابن الأكبر جالسا فى الدكان حين جاء
مرسى الشحات أحد رجال سلام ومعه قطعة قماش :

- أين أبوك يا ولد ؟

- ما ولد هذه ٠٠ أكنت خادما أبوك ؟

- ياسيدى ولا مؤاخذه ٠٠ أين أبوك ياسى عبد الحميد ؟

- ومن غير سى ٠٠ عبد الحميد كفاية .

- نهارك أسود ٠٠ أين أبوك يا عبد الحميد ؟

- فى البيت ٠٠ لماذا تريده ؟

- أما عجيبة هو ترزى وانت شايف فى يدي قطعة قماش

فيم سألته ٠٠ ويقولون عنك ناصح ٠٠

- ناصح اخي ٠٠

- طيب ياسيدى ٠٠ يقولون عنك فالح .

- أنا اسمى عبد الحميد .

- اسمع يا بنى لو قابلت كل الزبائن بهذه الصورة فالمؤكد
انك انت وابوك واخوتك لن تجدوا قوت يومكم .. يا اخى قل لى
اين ابوك ؟

وخرج عبد الحميد من باب البيت المفتوح على الدكان ..

- حاسب على الوليد يا مرسى وهل هو قدك؟

- انت سامع الحديث ..

- من اوله ..

- ولماذا تأخرت ؟

- لم أتأخر وإنما كانت فى يدى قطعة قماش اتقعها ..
تحت امرك ..

- القطعة هذه اشتريتها من البندر .

- وماله .. ألف مبروك ..

- أريدها جلبابا على ذوقك ..

- اول مرة تأتي الى .. طول عمرك تفصل عند عطية .

- اتلف لى الجلباب الاخير فأقسمت الا اذهب اليه .

- امرك يا سيدى نفصلها لك .. خذ مقاسه يا عبد الحميد .

- خذه انت ..

- وانت لماذا لا تأخذه ؟

– يدى مشغولة •

– امرك ياسيدى •• اصل الزمن انقلب •• تفضل ياسى
مرسى ••

وبدا مرسى الحديث الذى جاء من أجله :

– المديرية مقلوبة على رجل •

– لماذا كفى الله الشر ؟•

– من أجل مقتل أبو سريع •

– هل عرفوا القاتل ؟

– أبدا ••

– عجيبة !••

– والأعجب ان كل حادثة مثل هذه نسمع كلاما ربما يكون
اشاعات كاذبة انما نسمع •• اما هذه المرة ولا حتى سمعنا
شيئا •

– الناس ملهية فى مشاغلها ••

– طول عمرهم مشغولون ومع ذلك يحبون الكلام أكثر من
عيونهم • فى هذه المرة لا حس ولا خبر ••

– عجيبة !••

– ولنت كيف عرفت بقتله ••؟

- مع الناس ..
- أين كنت ؟ ..
- أنت تعرف أنني لا أترك الدكان مطلقا .
- يعنى لم تسمع شيئا ..
- نهائيا ..
- طيب ياسيدى شكرا .. متى استلم الجلباب ؟ ..
- اعطنى يومين فقط ..
- وهو كذلك .. السلام عليكم ..
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ..
- وانصرف مرسى والتفت عبد الحميد الى أبيه فى غيظ ..
- تفصل له أيضا ؟ ..
- يا ولد اعقل وافصل لأبيه أيضا .. وافصل لسلام اذا طلب منى ذلك ..
- ليس هذا غريبا عليك مادمت ضعفت أمام تهديدهم .
- يا عبد الحميد يا ابنى أنت تمزقنى بسكين بارد كلما قلت ذلك .. يا ابنى أنا ليس لى أمل فى الدنيا الا ان أكون أمامك وأمام اخوتك رجلا قويا ..
- وهل يقبل القوى التهديد ؟

- عصبا عنه اذا هدده من هو اقوى منه .. ماذا كنت تريدنى ان افعل ؟

- اترك البلد ..

- وهل لو كنت تركتها كنت ساحمل فدايىنى على كفى ؟

- لا اعرف ماذا كان يجب ان تفعل انما المهم الا تقبل التهديد

- انت تعرف اننى حاولت فاحرقوا المخطول وسرقوا البهائم وكانت الخطوة التالية ان يقتلونى .

- ولا عار الذل ..

- ومن كان سيربك انت واخوتك .. اكنت اترككم تمدون ايديكم للحسنة ..

- كلما سمعت اسم سباعى زفت او شفت احدا من رجاله تركبى عفاريت الدنيا .

- مصيرك تتغلب على العفاريت .. انما يا ابنى خف الوطاة عنى . فلا شئ يقتل الاب مثل شعوره ان ابنه لا يحترمه .

- انا فقط اشفق عليك .

- وهذه يا ابنى ادهى وامر .. حسبى الله ونعم الوكيل .

حين ذهب مرسى الى سليمان النواوى قال له :

- كيف الصحة يا عم سليمان ؟

— أهلا مرسى .. عجيبة ..

— ما العجيبة ؟ ..

— الزيارة ..

— قلت أطمئن على صحتك ..

— أى صحة التى تريد أن تطمئن عليها .. أنا أنتظر
عزرائيل من سنوات ولم تحاول أن تطمئن على صحتى وعزرائيل
هو الآخر تأخر فى الوصول .. تأخر جدا يا مرسى يابنى ..

— وفيما العجلة ؟

— حتى يعفنى من رؤيتك ورؤية أمثالك ياسى مرسى ..
اسمع يابنى أنا عجزت نعم ولكن عقلى كما هو رغم كل ما شففته
فى الحياة .. أنت تريد أن تعرف منى معلومات عن قتل المبحور
أبو سريع .. وطبعاً لا أنت تتصور ولا سيدك ولا سيد سيدك اننى
سأقتله .. لم يبق الا أن أسلط عليه ولو كنت أفكر هذا التفكير
لفعلتها منذ استوليت على أرضى .. قم يا مرسى مع السلامة ولا
تضيع وقتك وابحث عن غيرى ..

— كذا ..

— وهل هناك غير كذا ؟

— أمرك .. سلام عليكم ..

كان شاكر وعبد التواب معا فى الغيط وقدم اليهما مرسى
وراه شاكر مقبلا عليهما من بعيد فالتفت الى اخيه :

- يعنى اخبطه بالفاس واخلص ؟

ونظر عبد التواب وهو يقول :

- من ٠٠ آه ٠٠ يا اخى اعقل ٠٠ انه قادم يظن اننا لنا
يد فى قتل ابو سريع ٠٠ اسكت انت ولا تتكلم ٠

- لا اطيق ٠٠

- اسكت انت وانا ساريحك ٠

- السلام عليكم ٠٠

وقال عبد التواب وهو يعمل فأسه فى الأرض وكأنه لا يراه:

- من غير سلام ابلغ سيدك اننا عندما قتل ابو سريع كنا
فى فرح هنداوى الجلطة اننا واخى واعطينا النقوط على ملا
الناس ولف شاهد يشهد على ذلك ٠٠ مع السلامة يا مرسى ٠٠

- ياسلام اهكذا من غير اخذ و لارد ؟

- وما لزوم الاخذ والرد وقد عرفت ما كنت جائيا من
اجله ٠٠ مع السلامة يا مرسى ٠٠

- طيب ياسيدى وهو كذلك ٠٠

أدرك سباعى أن لا فائدة ترجى من بحثه وانتهى به الأمر الى
الليأس التام من العثور على القاتل . ولم يبق له الا أن يكون هو
على اهمية تامة حذر الموت . وتولاه شعور بالرعب لم يعرفه
حياته كلها . أن لحظة خوف واحدة يصغر أمامها مال العالم
كله وسلطان الدنيا بأسرها . وخاللق النفوس سبحانه هدد
البشر بشيء من الخوف رحمة بعباده أن يبلوهم بالخوف كله فان
شيئا منه أدهى من الموت ومن الفقر وكل عذابات الدنيا . ترى
أ يكون سباعى بهذا الرعب الذى يتغشاه قد كفر عن جرائمه .
من يدرى . فاش وحده هو الذى يملك الغفران وهو وحده الذى
يعرف متى يستحق عبده المغفرة يمتحها له أو لا يستحقها فيحجبها
عنه .

فكر سباعى أن يقيم أغلب وقته فى القاهرة ولكن ارتد عن
هذا . فالقاهرة واسعة وقد يقتل هناك فى أى لحظة . ثم هو
لا يستطيع أن يسير فى القاهرة وحوله هؤلاء الحراس الذين
يصطنعهم هنا فى البلدة . كل ما استطاع أن يفعله أن يضع
على بابه أضغافا مضاعفة من المراتج وأن يزيد من عدد
الخفراء . وكان يظل طول ليلة لا يغمض له جفن وتظل آلة
الاضاءة تعمل لا تنى ولا تنطفئ بل لقد اشترى آلة أخرى لتضىء
إذا أصاب المعطب الآلة التى تعمل . ولا ينسى طول الليل ينادى
أسماء الخفراء الواحد بعد الآخر ليكون على ثقة أنهم أيقاظ
فلا ينام الا حين يأتى الصباح .

- ١٦ -

السنوات الخضر من الشباب حين يكون للحب جناحان
يخلق بهما الانسان فى سماوات سامقات عن الدنيا ، قصيات عن
الأرض ، رفيعات عن الدنية . هناك يحس الشباب ان الهوى لم
يخلق الا له وأن الله سبحانه وتعالى يرسل به الى الأرض تفحات
من الجنة تعين الانسان على مرور الحياة وعلى تكاليف البشر
وعلى اشتباك المصالح وعلى الكذب وعلى الغش وعلى خداع
الصديق وعلى حضيض الناس وانحيازهم الى خلق الحيوان
وتنكرهم للانسانية التى جعلهم الله بها سادة الخلق أجمعين .

بالحب يستطيع الانسان أن يكون سيد المخلوقات . . بهذه
الخفقات المجنحة العريضة الآمنة . . السعيدة القلقة . . الباسمة
القطبة . . الآملة للياشئة . . الراضية العازفة . . المقدسة عن
رعونة المحجمة عن حفر .

بالبحث عن الكلمات فاذا هى فى تيه عن المشاعر أغلقت
عليها المسالك لا تدرى أين سبيلها الى الضفة لتعبر عن حب

صاحبها • باللعثة واللسان فصيح ولكنه ينوء بما لا يطيق من
أحمال الحب • فإذا به - وهو المنطلق القول - مقيد مكبول وإذا
النجوى صمت وإذا الحديث نظرة وإذا الحياة نشوة يطمسها
الحديث المعلن ويشمشمعها الفم الصموت •

عرفه صلاح وعرفته عديلة • بلمسة يد بابتسامة عند لقاء
فى الصباح أو لقاء فى المساء •• بكلمات يهمن على شفاه
صلاح ويقف بهن جلال على وجه عديلة •

انه الحب البكر لقلبين مخلوقين من نقاء الماس دون
صلابته ومن طهارة الملائكة ممزجة بخلاجات الانسان وشفافية
البلور وقد سرى فيه نبض البشر ومن نور الأمل فى المستقبل
طليقا من قيود الزمن •• أحس كل منهما عند صاحبه ما كانا به
فى غفاء عن التصريح •• وكان الحديث يجرى بينهما رخاء وفى
غير الحب كان الحديث •• لقد اتفق كل منهما مع الآخر دون قول
منهما أن أي حديث هو أصغر من الحب لكنه كل منهما لحبيبه
والمكان الذى يعرفه كل منهما لنفسه عند هواه •

سألته يوما :

- هل انت اخوان أم شيوخى ؟

- أنا مصرى ••

- اذن فانت من الأغلبية ••

- وانت ؟ ••؟

- ماذا تظن ؟ ••؟

- مصرية ٠٠ لحما وديما وقلبا وروحا وجسما ومشاعرا
وأخلاق وأراء ٠٠

- اما ان يكون المصرى كذلك او لا يكون ٠

- ولكن ألم تفكر أن تنضم الى هؤلاء او أولئك لتعرف ما
يفكر فيه كل من الجانبين ؟

- صادقت من هؤلاء ومن هؤلاء وحاول كل من الجانبين
أن يضمنى اليه ورفضت ٠٠

- لماذا ٠٠٩

- لا اريد ان احكم العالم ولا اريد حتى ان احكم مصر بل
ولا اريد ان احكم أحدا على الإطلاق ٠٠

- لماذا تريد أن تكون ؟

- انسانا ٠٠

- الست كذلك ٠٠٩

- ليس بعد ٠

- فما الانسان عندك ٠٠٩

- أن أحب كل الناس حتى المخطئين ٠٠ ولا أحقد ٠٠ وأن
أعطي اذا ملكت العطاء ولا أنتظر على العطاء شكرا لأن العطاء
نفسه يتمتع المعطاء سعادة لا يبحثها فى القلب كل شكر للعالمين ٠

أريد أن أرى جمال الحياة وأحاول بكل جهدي أن أهون المؤمنين
فيها على البائسين .. أريد أن يظل إيماني بالله وبالخلق وبالصدق
وبالقيم ثابتا لا تزعزعه الأموال التي أعلم أن الحياة ستواجهني
بها .. أريد أخيرا أن أكون وأنا في طريقى إلى الله سعيدا أننى
سألقاه .. وأنت ..

لم يسمع جوابا ورأى الدموع تجري مدرارا على وجنتيها
وكانت توقفت عن المسير فتوقف وهو يتحدث دون أن يسألها عما
دعاها للوقوف .. أسعده بكاؤها ومد يده ومسح دموعها في
هراة محب مشفق ، وفي ضغط شاب فتى وابتمسم وقال :

— لقد أجابت دموعك عنك أنت تريدان أن تكونى مثلى .

— ١٧ —

كان صلاح يؤدي امتحان النقل من السنة الثانية في كلية الحقوق إلى السنة الثالثة حين ضرب جرس التليفون في بيتهم وقال خليل :

— صلاح أنت تذاكر هذه الأيام ؟

— نعم ..

— اذن اسمع .. آخر يوم امتحان تعال فانا أريدك في شيء مهم جدا ..

— خير يا عمي ..

— وهل تظن ان عمك يقدم لك الا خيرا ؟

— ولكن سعادتك شغلتنى ..

— وهل تظن انه لو كان هناك ما يشغل كنت طلبتك واننت تمتحن .. سني آخر امتحان عندكم ؟

— غدا ٠٠

— اذن تعال غدا ٠٠ واطمئن ستفرح جدا ٠٠ اظن ذلك
على الأقل ٠٠

وحين ذهب صلاح الى عمه فى اليوم التالى كانت اللهفة
تحيط به وكان عمه مشغولا بالكشف على مريض فازداد به القلق
حتى اذا خرج المريض دخل دون استئذان وقال دون سلام :

— ماذا هناك يا عمى ٠٠؟

— اتعد ٠٠

— ماذا هناك والنبي ٠٠؟

— اسمع ياسيدى ٠٠ لقد خطبت لك ٠٠

— ماذا ٠٠٠ من ٠٠؟

— هل اعرفها ٠٠٠؟

— وهل من الضرورى ان تعرفها ؟

— اسمع يا عمى ٠٠ انا خاطب فعلا وانا اعرف حبك لى
ولذلك ارجو ان تكون خطبتك مجسدة بجس نبض ٠ انا خاطب
فعلا ٠٠

— من ٠٠٠؟

— فتاة زميلتى ٠٠

— اسمها عذيلة ؟

— ماذا ؟

— وابنة عبد الغنى بك الزاهد ؟

— كيف عرفت يا عمى ؟

— الله يكسبك .. أعرف منهم ولا أعرف منك ..

— ماذا تقول ؟ ..

— لقد جاءت الى هنا وقالت ان كثيرا من الخطاب تقدموا لها ورفضتهم ولكن تقدم اليها اخيرا شاب مهندس لا عيب فيه وابوها يريد ان يزوجها منه على رغم انفها وطلبت الى ان أرجو اباهما الا يرغبها ..

— وماذا فعلت يا عمى ؟

— سألتها عن سبب الرفض فاصرت ان تصمت ولكنها اخيرا قالت انها لا تريد ان تخرج عن طاعة أبيها ولكنها لن تتزوج هذا المهندس ..

— وبعد يا عمى وبعد ..

— طلبت اليها ان تنتظر فى غرفة الاستقبال وطلبت اباهما فى التليفون .. فاذا الرجل ينفجر .. ألم تفكر يا دكتور لماذا اختارتك انت بالذات ؟ قلت اعتقد انها اختارتنى لأنها تعرف مكانتى عنده .. قال ياسيدى مكانتك على العين والراس ولا شك

ففيها ولكن لها اعمام ولها أخوال وكان من الطبيعي أن تلجأ
لواحد منهم ، وتنبهت الى هذه الحقيقة متأخرا يبدو أننا
عائلة غبية يا ولد يا صلاح ، سألت عبد الغنى ماذا اذن ٠٠ قال
ابن أخيك يا سيدى ٠٠ ماله ؟! قال متحابان وهى لا تريد الزواج
من أجل خاطره ٠٠ ربك والحق يا ولد يا صلاح فرحت بك قلت
وانت ما المانع عندك ٠٠ قال المانع بسيط جدا انه لم يتقدم اليها
وهؤلاء العرسان تقدموا وكلهم شبان ممتازون واحسنهم هذا
الشباب الاخير ٠٠ ما رأيك ٠٠ قلت له اذن يا عبد الغنى فأننا
أخطب ابنتك عديلة لابن أخى صلاح ٠٠ قال الا تسأله ٠٠ قلت
انى أعرف الجواب ٠٠ قال اذن وأنا قبلت ٠٠ قل للبت انها لن
تتزوج الزفت المبتدس ولا تقل لها شيئا عن الخطبة حتى تتم رسميا
قلت حاضر ٠٠

وقفز صلاح عن كرسيه وراح يقبل عمه ويحتضنه ويصيح
٠٠ الله يطيل عمرك ٠٠ الله يخليك ٠٠ وقال خليل :

– والآن قل لى ماذا فعلت فى الامتحان ؟ ٠٠

– قل لى انت أولا كيف عرفت أننى سأقبل هذه الخطبة ٠٠

– عجيبة ٠٠ الا تعرف أن لى أصدقاء كثيرين بين أساتذتك؟

– وكيف عرفوا ؟ ٠٠

– لماذا يعتقد الشباب منكم أن الشباب لم يعرف الا جيله
وحده ٠٠ كانوا هم أيضا شبابا وكانوا فى الجامعة ولا تفوتهم
الفائنة ٠٠

– للعجبية اننى مع عديلة كل يوم ولم تقل شيئا عن هذه
الحكاية مطلقا ٠٠

– أولا ماذا تريدها ان تقول لك ٠٠ تعال اخطبنى ٠٠ ثانية
هى لا تعرف اننى خطبتها من ابيها ٠٠

– والبنات التى ترفض ان تذكر لى شيئا عن خطابها ليست
جديرة بالحب ٠٠

– فعلا هى جديرة بالحب وبالاعجاب ولو اثنا نحن احببناها
اولا والآن نفكر فى حيثيات الحب اليس كذلك يا نصف المتر ٠

– وهل تظن ان ابنى سيقبل ان يخطب لى وأنا نصف متر ؟
– غصبا عنه ٠٠

– كيف ؟ ٠٠٩

– ان كان عليه هو يريد ان يزوجك من يوم دخولك الجامعة
وانا الذى كنت أستعمله ٠٠

– هل كلمته ٠٠٩

– وسيكون هنا غدا ٠٠ اذهب انت الآن للى والدتك واخبرها
بكل شئ حتى لا تفاجأ ٠٠

وجاء سباعى وطلب الى اخيه خليل ان يشتري له الشبكة
المناسبة وما هى الا ايام حتى تمت الخطوبة واعلنت واتفق الجميع
على ان يكون الزواج بعد الليسانس مباشرة ٠٠ وكانت ام عديلة
متوفاة ولهذا لم يكن عجيبا ان يهمس عبد الغنى فى اذن صلاح :

— تعال يا ابني أريدك فى كلمتين ..

قام صلاح مع والد خطيبته وذهب به الى غرفة نومه :

— أعرف أن الكلام فى هذا سنابق لأوانه الا أننى يابنى

لا أحب القلق ..

— تحت أمرك يا عمى ..

— أنت ترى أنه ليس لى فى الدنيا الا عذيلة .. أمها تركتها

لى من خمس سنوات وأنا كبرت ولا أستطيع أن أعيش وحيداً
أكون هناك أثقال عليك لو عشت معى فى هذا البيت ؟

— أنا تحت أمرك ولكن لى رجاء واحد عندك ..

— قلّه

— أن أساهم فى مصاريف البيت .

— فى بيتى ؟

— وهل ترضى لى أن أعيش عائلة عليك ؟

— أنا قبلت ..

— وأنا قبلت ..

— على بركة الله .. اذن ربنا يهنيكم يا ابنى ان شاء الله .

— ١٨ —

كان صلاح قد انتهى من امتحان الليسانس ولكنه بقى فى القاهرة فى انتظار النتيجة ولم يسافر الى الاسكندرية ٠٠ وكان يتهيأ للنزول ليذهب الى عديلة شأنه فى كل يوم حين دق جرس الباب واذا القادم عمه خليل ٠٠ وفوجيء صلاح بعمه يحتضنه على الباب ويصيح :

— جيد جدا ٠٠ ألف مبروك ٠٠

وذهل صلاح :

— احقأ ؟ ٠٠

— كلمنى الآن الدكتور عبد الوهاب رفاعى .

— استاذ الجنائى ٠٠

— ورئيس الكنترول ٠٠

— وعديلة ٠٠؟

— جيد ٠٠

— يعنى نجحت ٠٠

وقبل ان يكمل الحوار انفجرت زغرودة من حيث لم يحتسبها ومن حيث لم يتصورا ايضا ٠ لقد كانت قدرية بمسمع منهما ٠٠ والتفتا اليها فى فرح فاذا هى تطلق زغرودة اخرى وترتقى على الكرسي ٠ ويجرى اليها ابنها وعمه وتقول لاهثة :

— ندر على وأنا اوفيه ٠٠ ما فعلتها فى حياتى ولكنى كنت اتمرن عليها بكل ليلة منذ دخلت الحضانة ٠٠ انا. يابنى لا احب الحياة الا من أجلك ٠٠ انت حياة حياتى ٠٠

وراح سلاح يقبل يدها ووجهها ويشرب صادق دموعها المنهمرة ٠٠ وهى تقول وكأنها تكلم نفسها :

— لقد جئت مصر من أجلك وأنا لا اعتبر أن لى زوجا منذ رزقنى الله بك ٠٠ لم افكر فى شيء لنفسى طول حياتك لا فكرت فى فسحة ولا فى فستان ولا فى شيء حتى ارضى حين لئخوها منى قلت فى ستين داهية ماذمت انت فالتحا فى مدرستك ٠٠ ولسولا الحاحك ما ذهبت عمري الى السينما ٠ التليفزيون لا يفتح مادمت ائت تذاكر ٠ عمري كله كان ينتظر هذه اللحظة فلا تعجبوا ٠٠ انها لحظة عمري ، منذ اليوم انا لا اريد شيئا ٠ انا ابني معاه الليسانس وكل شيء بعد ذلك لا يساوى شيئا ٠ حتى فى يوم فرحك لن ازغرد ٠ فرحانة نعم ساكون ٠ ولكنى لن ازغرد ٠ هى

مرة • ولن تعود • ابني معاه الليسانس • شربات يا أم السعد
شربات يا هنية • شربات للعمارة كلها •

إن حب الأم لابنها أمر ليس غريباً على صلاح ولا هو بغريب
على خليل ولكن الذي دهشاً له أن قدرة الصموت المستسلمة
دائماً الجادة تزخر بكل هذه الشاعر ولا تبيّن عنها إلا الآن •
تركيبة عجيبة هذا الانسان •• حتى أقرب الناس إليه لا يعزف
الأعماق الحقيقية التي ينطوى عليها كيانه •

قال خليل :

— أنت وعديلة عندي على العشاء الليلة • وكلم أباك •

وقبل أن ينزل خليل قال له صلاح :

— نجىء لك فى العيادة أم فى البيت ؟

— على البيت مباشرة وإذا تأخرت انتظرانى •

— وهو كذلك ••

وسارع صلاح الى عديلة وبشرها بمشهد من أبيها ومن هناك
طلب إياه فأخبره فإذا بصوت أبيه يأتيه فى التليفون :

— اسمع يا استاذ •• بعد غد أنت وعروسك واليك والدنا
وعمك وزوجته وعمتك عابدة وزوجها وعمتك فاطمة وزوجها كلكم
مدعوون مع أولاد الجميع على احتفال عندنا هنا فى البلد بمناسبة
تفريجك •• سامعنى ••

— خذ سعادتك كلم عمى عبد المغنى ..
قبل الرجل الدعوة ونزل سلاح مع عديلة ولم ينتظرا أن
يركبا السيارة وانما قبلها على السلم وإذا هى تضربه على خده
ضربة أقرب الى التزببت وهى تقول :

— يجرب عقلك ..

— ماذا ؟ اذا كنت جيد فانا جدا .

— وما شأن الناس بهذا ؟

— انهم يحبون أن يروا خطيبا يبوس خطيبته ..

— ولكنهم مع ذلك يدعون الغضب .

— وأنت ما الذى يهك الحقيقة أم الادعاء ؟

— يبدو أنك ستكون أنت فى الادعاء فالغالب أنك ستتدخل
النيابة .

— أو اكون استاذ فى الكلية .

— ماذا تريد أنت ؟

— لم أحدد بعد ربما رفضت هذا وذاك وفكرت فى الحمامة .

كانا قد ركبا السيارة وسارت بهما وقالت عديلة :

— الى أين ؟ ..

— الى صاحب الفضل الأول على ..

— الأستاذ ياسين ؟ ..

— كان يجب أن يعرف قبل ابنى ..

- ١٩ -

كان سباعى حريصا دائما أن يحضر كل بقرة أو جاموسة عنده تلد . وتلك خصلة صلبته وصحبها منذ كان طفلا فى رعاية أبيه . وقد ظلت فرحته بولادة البهيمة التى كان يحسها وهو ذلك الطفل كما هى لم تتغير ، وإن كان فى طفولته يساعد الكلاف إلا أنه كف عن ذلك منذ شب عن الطوق وأصبح يشرف على زراعة أبيه ، وهو اليوم يضع كرسيه ويجلس قريبا من الذين يقومون بتوليد البقرة أو الجاموسة حتى تتم الولادة فينصرف الى البيت . وكان فى جلسته هذه ينسى كل مشاغله التى أصبحت حين كبر مخاوف ولا يفكر إلا فى مولد العجل أو العجلة أن كانت الوالدة بقرة والفحل أو الفحلة أن كانت الوالدة جاموسة . وكانت البلدة كلها تعرف عنه هذه العادة . فعادات كل أبناء القرية معروفة لبعضهم البعض ، فالقرية مهما تتسع إنما هى بيت كبير كل انسان يعرف كل شئ عن كل انسان فيها فما الشأن اذا كانت تلك هى عادة أغنى أبناء القرية وكبير طغاة المنطقة .

وقدر الذين يجسئون البهائم وهم أطباء الولادة بالقرية أن الجاموسة المفضلة عند سباعى ستلد فى نفس اليوم الذى حددته للاحتفال بحصول ابنه على الليسانس .

وفكر سباعى قليلا ثم قال لمحدثه الذى سيقوم بتوليد
الجاموسة :

– اذن فاسمع .. عليك أنت أن تظل الى جانبها لا تنتقل
وحين تحس أن الموعد اقترب ارسل لى أجىء اليك . وسيكون
المدعون كثيرون ولن يلتفت أحد لغيابى .

وحل يوم الاحتفال ولم تكن الجاموسة قد ولدت بعد وتقاطر
المدعون وكان سباعى لم يترك أحدا الا دعاه وفى المقدمة المحافظ
ومدير الامن والامور وأعضاء مجلس الأمة والعمد والأعيان .
لقد أراد أن يعلن للجميع أن سباعى الذى لم ينل شهادة استطاع
ابنه أن يحصل على الليسانس وبدرجة جيد جدا . الوحيد الذى
كان يجب أن يكون موجودا ولم يدع هو شعبان غما كان الى
دعوته من سبيل فقد كان قد سافر الى صهره الأمير مع زوجته
وأولاده وأقام هناك اقامة غير عائد .

وجاء المحتفل به ليرى القرية التى لم يكن رآها منذ كان
صبيا يافعا سعى الى القرية فرحا ليشهد الانتخابات وانصرف
عنها مصطحبا الحيرة والقلق مما رأى فى أعين الرجال وهم
يحتفلون بأبيه .

جلس صلاح بين القوم وراح ينظر .. لم تكن عديلة معه
فقد ذهبت هى وأمه وعماته الى مكان الحريم ، فالريف لم يعترف
بعد باختلاط الجنسين . رأى فى عيون القوم المدعويين وفى جباههم
تعبيرا آخر غير الذى شهده من الناخبين . هؤلاء لا يخافون أباد
ولكنهم أيضا خائفون . كلهم مرتعد فى داخله تتضخ الرعدة فى
حديثه .. فالحوار يبدأ ولكنه ينقطع من تلقاء نفسه اذا أدى الى
موضوع عام . وكل حوار بين الرجال لابد أن يؤدى الى موضوع
عام .. ولكل منهم رأى وربما كانوا متفقين جميعا على رأى ولكن
هيهات لرأيهم أن يعلن أو يخرج من منطقة الهمس الداخلى الى
منطقة الحديث .. أشدهم رعبا المحافظ يليه مدير الأمن يليه
الامور . ويعجب صلاح كيف يحافظ على الأمن من لا أمن له .

كيف يكون مستغفلاً عن أمن الناس وهو نفسه غير آمن على نفسه • ويل للناس اذا خاف الناس • ويل للناس كل الويل اذا كانت نفوسهم تخاف من نفوسهم •

أما اعضاء مجلس الامة فهم يتلهون بكل حديث فارغ ويختارون طريق الحديث حتى لا يصل بهم الى ما يرهبون • وقد وجد بعضهم في الاجتماع فرصة ذهبية يقترب بها الى العمد والاعيان فكل نائب فيهم ليس يدري الانتخابات القادمة متى تكون •

حابل ونابل كما يقول العرب وقسم يجتمعون وينفضون يقولون الكثير من الكلام ولا يقولون شيئاً • صلاح ذاهل واع مندهش مفكر • لا يفوته شيء مما حوله • وتزيد قوة الملاحظة الما ورفضنا • وخلا باستاذة ياسين :

— اهؤلاء ناس •

— مجتمعك •

— اكانوا كذلك دائماً •

— المجتمعات التي عرفتها حين كنت في مثل سنك لم تكن متعرضة لما يتعرض له هؤلاء •

— اليس فيهم رجل •

— كلهم في داخلهم رجال ولكن الارهاب يطمس الرجولة فالتمس لهم العذر ولا تعنف بهم في حكمك •

— ماذا تقول انفسهم •

— ان كان لك عند الكلب حاجة قل له يا سيدي

- وماذا لهم عند الكلب •
- الحياة •
- الموت خير منها •
- نادر من يقول هذا أو يشعر به •
- تهون الحياة مع الذل •
- ومع ذلك فهم يرون انفسهم على كرامة
- من اين يأتيهم هذا الشعور •
- كل منهم لبعض الناس عندهم حاجات •
- فكلهم كلاب •
- ويجدون من يقول لهم يا سيدى •

وانقطع الحوار وهموم الصمت الذاهل فقد انطلقت في
اسماع الحاضرين ثلاث رصاصات •• ارضاص والمجاظ والمدير
واللامور ورجال الامن جميعا هنا • ما هذا •• ما هذا •• ما
هذا •

وجاء الجواب •• قتل سباعى •• من القاتل ••؟ سلم
نفسه • من هو ؟ •• حسن عبد الحميد أبو ديدة •• من حسن
عبد الحميد أبو ديدة ؟ !

— ٢٠ —

كان كل ما عنى به الأمور ان يحافظ على حياة القاتل وقد
تمكن من ذلك وصحبه الى المديرية • وانقلب الاحتفال مأتما
وتحقق بيت شوقى :

واذا نظرت الى الحياة وجدتها
عرسا اقيم على جوانب ماتم

وكان اول ما صنعه صلاح بعد ان انفض معظم الناس أن
يعجل بسفر خطيبته واييها • وحين حاولت عديلة البقاء معه
أصر على سفرها فى حسم لم تشهده منه قبل اليوم فاضطرت الى
السفر •

اقيم المأتم فى اليوم التالى • ولكن صلاح لم يكن يطبق
انتظارا لقد رأى داخل الناس وكانهم يقولون : غمة وانزاحت •

انتحى جانبا بياسين :

— اتعرف شيئا •

— اعرف كل شيء • ولا اعرف شيئا •

- - إنذكر حديثنا فى فناء المدرسة •
- - وكيف أستطيع أن أنساه •
- - الا تعرف على الأقل من أستطيع أن أسأله •
- - نعم اعرف •
- - من •
- - اكبراهل البلدة سنا •• عمك سليمان النواوى كان
- - صديق جدك الصدوق ولن يكذبك •

- روى سليمان النواوى كل شىء • لم يخف عنه خافية وحين
اتم حديثه قال صلاح :
- - هل معك العقد الذى فرضه عليك أبى •

ونادى سليمان ابنه وامره أن يأتى بحقيبة أوراقه ••
واخرج سليمان العقد دون جهد وقدمه الى صلاح •• قراه ••
ثم التفت الى الابن وطلب منه ورقة بيضاء وصدع الابن باطلب
وقال سليمان :

- - ماذا ستصنع •
- - اكون انا •

ولم يزد • وجاءت الورقة وراح صلاح يكتب ونقل بعض
اشياء من العقد القديم ووقع الورقة •• واعطاها لسليمان وقام
وهو يقول :

- - سلام عليكم •
- - انتظر •• اتعد •• ما هذا •
- - لقد انتهت مهمتى •

- ابن فانتظر ربما كانت لى مهمة أنا الاخر .
- أمرك .. انتظر .

وقرأ سليمان الورقة ووجدها عقد بيع من صلاح بالأفدنة الستة خالصة الثمن وفهم أنه كان ينقل الحدود من العقد الاول وجرت دمعتان على خدى سليمان وهو يقول :

- عجيبة .

وقال صلاح : ما العجيبة ؟

- بل عجائب .
- ماهى العجائب .

- العجيبة الاولى أن عيني مازال فيها دموع ولم تحجرها السنون والثانية، أن تكون أنت ابن سباعى وامك من أشرف الناس ولا شك أنك ابنه فتلك عجيبة أما العجيبة الثالثة أن عزرائيل تأخر عنى طول هذه المدة وأنا لا أدرى السبب . واليوم دريته .

- والآن اتسمح لى .

- بل انتظر .

- ماذا ؟

- الفلوس التى ارسلها الى أبوك .. لم امسها .. كما هى وهى هنا فى هذه الحقيبة .

- لا تلزمنى .

- امثللى يقبل الصدقة .

- استغفر الله وانما الذى قدرته قلته أنت الآن .. لو كان أبى يمنع هذا معك وأنت تاجر فريما كنت تاجرت بالمال وكسبت منه أما وقد فعل ما فعل بعد أن توقفت أنت عن التجارة فهذا معناه أن المال بقى عندك ولم يصنع شيئا ولا شك- أن نفسك عزفت حتى

أن تشتري أرضاً أخرى . . فالربيع الذي أخذه أبي من الأرض
حقك فليكن ما أرسله لك من المال مقابل هذا الربيع .

- منطق قد يقبله غيري . . فقد كنت أستطيع أن أشتري
أرضاً أخرى وكنت أستطيع أن أجعل زميلاً لي في التجارة أو
واحداً ممن علمتهم التجارة يتاجر لي . فابقاء المال بلا عمل خطأ
اخترته أنا ولم يفرضه على أبوك . والأرض اليوم ثمنها أضعاف
أضعاف ثمنها يوم اغتصبها مني أبوك ودفع فيها نصف الثمن .
فاذا كنت تريدني أن أقبل الأرض فأقبل أنت على الأقل ما دفعه لي
أبوك قسراً . انه أرغمني على البيع بثمن بخس فأنزل كرامتي
فلا ترغمني أنت على الشراء بلا ثمن وتزيد كرامتي ذلاً .

- لا والله فما إلى هذا قصدت .

- إذا أردت أن تبيع ضميرك فارح ضمير الناس واطال
الله عمرك وثبتك على ما أخذت به نفسك واعانك عليه فان من كان
في مثل عدلك سيلقى الكثير من المتاعب . خذ الفلوس .

- أمرك . . سلام عليكم .

- مع ألف سلامة !

ذهب صلاح إلى بيت شاكر وكان ما صنعه صلاح مع سليمان
النواوي قد ذاع في القرية كلها فرحب به شاكر فقد أحس أن
القادم إليه انسان . . قال صلاح :

- اين أخوك عبد التواب .

- في بيته .

- ارسل اليه من يستدعيه .

وجاء عبد التواب وبدأ صلاح :

- حياة الانسان لا يساويها شيء فى العالم . ولكن الله وحده هو القادر على ان يبعث الحياة ولا يد لى فى هذا . وكل كلام للمراء فى ابيكما لا يجدى فلا عوض عن الاب ولكننى انا اريد ان اعيش وببيدك انت واخوك هذا ان تسمحا لى بان احس اننى فعلت ما يجب على ان افعله فى اضعف صورة فاستطيع ان اعيش .

وقال عبد التواب :

- ما المطلوب منا يا استاذ .
- لا شيء الا ان تقبل هذا العقد .
- وماذا فيه .

- بيع باسمك واسم اخوتك منى للافدنة الخمسة التى كان يزرعها ابوكم .

وبهت الاخوان وقال شاكر :

- والثلث ٠٩
- العقد خالص والثلث وصل .

وقال عبد التواب :

- لا يرد الكرامة الا لثيم ٠٠ كان غيرك يستطيع ان يقول ما شائى بما فعله ابى ويبقى الأرض .

- ولكننى انا لا استطيع .
- انن فانت جدير بالشكر .
- بل الشكر لكما ان قبلتما ٠٠ السلام عليكم .
- السلام ورحمة الله وبركاته .

- ١٦١ -

(م ١١ - احلام فى الظهيرة)

تردد كثيرا ثم جمع اطراف شجاعته وذهب الى عبد الحميد
ابن حسن قاتل ابيه • وجزع الشاب وهو يراه واقفا على رأسه في
الدكان وانتفض واقفا وببده المقص وهو يقول :

— ماذا تريد ؟

— رد السلام أولا •

— ومن أين يأتى السلام •

— يا أخى أبوك قاتل أبى وأنا الذى جئت اليك •

— من اجل هذا أعجب ماذا تريد •

— كل خير ان شاء الله •

— لم تر الخير منكم مطلقا •

— صدقت ولكن من يدري ماذا فى داخل الايام القادمة ••
رد السلام •

— وعليكم السلام •

— اقعد •

— نقعد •

— خذ هذا •

— ما هذا •

— انا أعرف أنك تعلمت القراءة والكتابة •

وقرأ عبد الحميد :

— اهذا معقول •

— نعم •

— ليس معى ثمنها •

- ألم تقرا العقد .
- نعم . .
- ماذا فيه عن الثمن .
- انه خالص .
- وهو خالص .
- هذا كثير . . هذا كثير ان ابي قتل اباك من اجل هذه
الافدنة الثلاثة
- والان وقد مات ابي فلنترك الأيام تصنع ما عندها . .
ويؤدي كل منا واجبه .
- وانفجر عبد الحميد عن بكاء عالى النحيب وراح صلاح
يربت كتفه . . وقال عبد الحميد :
- انا الذى جعلته يصنع ما صنع .
- انت ؟
- كنت دائما اعيره انه قبل الذل . . وكان يقول اننى اقتله
كلما قلت له هذا . . قال لى عندما زرته فى السجن : ثلاث
رمصاصات عن كل فدان رصاصية . . قل لاولادك جدكم لم يكن
ذليلا .
- هل وكلت عنه محاميا .
- لا .
- وهل معك اجر المحامى ؟
- سنأخبره . .
- خذ هذا المبلغ وتسمع نصيحتى فى اختيار المحامى ام
تظن اننى اغشك .

• اتقدم لى كل هذا وتغشنى •
• اذن فاذهب الى القاهرة وركل الدكتور عبد الرهاب
رفاعى استاذ القانون الجنائى فى كلية الحقوق • وهذا عنوان
مكتبه • سلام عليكم •

• نعم •• الآن السلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

ويبقى صلاح فى البلدة يعيد الى كل من اغتصب منه ابره
أرضاً أرضه أو يعيدها لأولاده ، منهم من يرد الثمن ومنهم من
لا يرد حتى اذا اطمأن أن لم تبقى أرض لم تعد لصاحبها أو لورثته
سافر الى القاهرة •

• وهناك ذهب الى عمه الدكتور خليل •

• وهكذا تكون النهاية موت فى حظيرة بهائم •• فى اقذر
مكان فى القرية بل ربما فى العالم •

• انه مجرد جسد ارتمى فى القذارة وعند الموت تستوى
الامكنة •

• وربما كانت روحه قد صعدت وهى تحمل من القذارة
أكثر مما ارتمى عليه جسده •

• هذا ليس شأنك •

• أنا ابنه •

• ولكنه أصبح الى من لا ينفع عنده مال ولا بنون •

وأكمل صلاح :

• الا من اتى الله بقلب سليم •• أو كان قلبه سليما ••

• ومن هذا الذى يستطيع أن يطلع على القلوب •

• الذى لا ينفع عنده مال ولا بنون •

- فهذا شأنه اتركه له .
- ياليتنى أستطيع .
- أنت قمت بواجبك بعد وفاته .
- ليس بعد .
- ماذا بقى عليك .
- هناك انسان سيقتل .
- انه قاتل . . هذا حق المجتمع .
- وحقى . . الست ولى الدم .
- وماذا تريد أن تفعل .
- رفعت الدعوى المدنية .
- اتريد عوضا عن أبيك .
- أريد الحق أن يأخذ مجراه .
- لا أفهم شيئا .
- لكل شيء وقته .
- بلغنى ما فعلته فى البلد .
- لم يبق أحد لم أرد حقه الا سعادتك .
- أنا ليس لى حق .
- سنعرف الآن .
- كم بقى لك من أرض .
- اربعون فدانا .
- لا بأس .
- ستصبح الآن عشرين تقريبا .

- لماذا ؟
- ارضك وارض جدتي
- ارضى انا .
- نعم .
- مالها .
- لا بد ان اردها اليك .
- لماذا وهل بعثتها قسرا انا الآخر .
- لو لم يكن أبى على ما كان عليه ما بعت ارضك .
- اكذب لو قلت لك ان هذا كان تفكيرى .
- بل تريد ان تبقى فى ملكى ارضا ليست من حقى .
- كان أبوك لا يتأخر عن دفع الايجار وكنت أستطيع ان أبقي الأرض تحت اشرافه لو اردت ذلك ولكننى بعت الأرض بمحض اختيارى والثمن كان مناسباً لهذه الفترة .
- عمى أنت تعرف العبد الذى أحس به على ضميرى .
- وواجبى ان أخففه عنك ولكن أتريد أنت تخفف من عبئك لأحمل أنا عبثاً أشد . أغشك . . أغش ابنى . . أبى ضمير يقبل هذا .
- هل أنت واثق .
- كل الثقة .
- فأرض ستى اذن .
- هى الأخرى باعتهامختارة .

- لقد رأيت ستي وهى تعيش معك • كانت الحسرة تملأ نفسها الى يوم وفاتها لانها تركت البلد وبيتها • لا • لولا أبى وما فعله ما تركت ستي البلد ابدا •

- وأفرض • ولكنها باعت الأرض باختيارها •

- أهذا اختيار • انه الارغام ذاته • على كل حال أنا قررت أن أتنازل عن أرض ستي لعمتى عابدة وعمتى فاطمة •

- وأنا قبلت عنهما هذا وقبلت هذا لك ، فان من واجبك أن تكرم عماتك ، وفعلًا كلتاهما تحتاج الى ما يعينها على الحياة ، وأنا أعمل ما فى طاقتي وأحب لك أن تكون بجانبى فى رعايتهما •

- اذن •

- عندى توكيل منهما •

- وهذا عقد بيع خالص الثمن لهما وقعه أو لا توقعه فهو على كل حال من صورة واحدة وكلف سعادتك واحدا من وكلاء المحامين ليبدأ فى اجراءات التسجيل •

- لا أحب أن أمدحك ولكن لابد أن أقول لك انى فخور بك •

- أرجو أن أشعر بنصف هذا الشعور نحو نفسى •

- والآن ماذا ستعمل فى الزواج •

- تأجل طبعاً •

- كيف ؟

— عديلة من نفسها قالت لا بد أن ننتظر سنة على الأقل
وأبوها أيد هذا الرأي بحرارة .

— وأنت ما رأيك .

— لو لم يقولوا هذا ما كنت تزوجت الآن على أى حال .

— نعم ولكن سنة كثير .

— والله أعلم . . ربما أكثر

— كيف ؟

— أتريدنى أنا أن أتزوج وأفرح وأنجب أطفالا وهناك روح
إنسان متهم فى قتل أبى يتردد الأمر فيها بين البقاء والازهاق . .

— وأنت ماذا بيدك .

— لا أعرف ولكننى لا أتصور أن أتزوج والقضية منظورة .

— صلاح . . أتكون كرهت عديلة .

— بل يزداد حبى لها كل يوم عن اليوم الذى فات .

— عجيبة .

— يا عمى حتى يتزوج الإنسان . . وأقول الإنسان لا بد أن
يكون لمرتاح الضمير .

— يا بنى ضمير الإنسان لا يشغله إلا ما يصنعه الإنسان
نفسه .

- أو ما يصنعه أبوه .
- وكل إنسان الزمناء طائره فى عنقه .
- وهذا طائرى ياعمى .
- اعانك الله على نفسك يا ابنى .
- ابع لى .
- لم تقل لى فيم انتويت أن تعمل .
- عرض على عميد الحقوق أن أتقدم لأشغل وظيفة المعيد
الخالية بالكلية فطلبت أن يمهلنى للعام القادم .
- لماذا ؟
- لى غرض فى هذا .
- الا تقوله لى .
- ستعرفه فى حينه .
- والنيابة .
- هى أيضا لم أتقدم لها .
- انن فماذا تنوى ؟
- طلبت قيدى فى الحمامة .
- ومتى ستحلف اليمين .

- - اظن بعد شهر تقريبا
- - واين تريد ان تتمرن
- - لم افكر بعد
- - اتحب ان تتمرن فى مكتب الدكتور عبد الوهاب
- - وكله ابن حسن عن ابيه وليس معقولا ان اتمرن فى مكتب يترافع عن قاتل ابنى
- - اذن اكلم الاستاذ عاطف البهنسى
- - عظيم
- - الآن .. اى مكتب يتمنى ان تتمرن عنده .. انت جيد جدا يا استاذ .. وهل انت قليل .. وعاطف من اعز اصدقائى
- - وهو كذلك

- ٢١ -

انعقدت دائرة الجنايات ونظرت في قضية حسن عبد الحميد
وتحدد يوم المرافعة • وتكلم وكيل النيابة ولم يكن محتاجا لاسباب
فالقائل معترف والجريمة تمت مع سبق الاصرار والترصد فهو
يطالب باقصى العقوبة •

وطلب صلاح أن يترافع بوصفه مدعيا بالحق المدني فسمع
له وبدأ المرافعة •

- بسم الله الرحمن الرحيم أقولها يا حضرات المستشارين
لا افتتحا للمرافعة فحسب وإنما لأنامل مع المحكمة الموقرة لماذا
أختار سبحانه الرحمة الرحمة من بين أسمائه الحسنی جميعا
ليجعل منها فاتحة فاتحة الكتاب •• أليس هذا الآن صفة الرحمة
الرحيمة هي أحب الصفات إلى الذات العلية • وقد جعل الله
الانسان سيد المخلوقات لانه قبل أن يحمل الأمانة التي عرضها
سبحانه على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها الانسان فنصبه سبحانه سيد خلقه أجمعين
فانسان بلا رحمة ليس انسانا جديرا أن يحمل الأمانة •• والأمانة
يا حضرات المستشارين هي الاختيار الذي منجه الله للانسان حين

هده النجدين وحرم سائر مخلوقاته من حق الاختيار هذا
فالحیوان لا يستطيع أن يكون الا حیوانا والملائكة لا تستطيع أن
تكون الا ملائكة ٠٠ والانسان وحده هو الذى يستطيع أن يكون
انسانا أو حیوانا أو ملاكا وبهذا الاختيار يصبح الإنسان أما
شرا من الحیوان لأنه اختار أو خيرا من الملائكة لأنه اختار
وكلاهما لا يملك الاختيار ٠٠ ونحن فى عصر یا حضرات
المستشارين فرض فيه على مصر أن يكون ابناؤها مسحوقين ٠٠

وحيثما يسحق الناس يسود الجبروت ويفشوا الظلم ويصبح
النفاق هو الزعيم الأول ٠٠ فنحن نناقى السلطات ونناقى من
ينافقون السلطات ونناقى الغش ونناقى الخداع ونناقى الرشوة
ونناقى التدليس ونناقى السرقة ونناقى القتل ونناقى الاعتداء
على الأعراض والأموال والكرامات وعزة الادمى ٠٠ حضرات
المستشارين اننا نناقى النفاق ذاته وابناء جيلى نشأوا فى هذه
الفترة القاتمة السواد ٠ وقد تبينا أمرنا بعد أن ادلهم الخطب
واشتدى أزمة تنفرجى قد أوشك ليلك بالبليج هكذا قال الشاعر
وهو ينظر الى قوله سبحانه فان مع العسر يسرا ان مع العسر
يسرا والعسر هنا واحد لأنه معرف بال واليسر مطلق لأنه محرر
من التعريف بحكمة الاله الاعظم ولهذا قال المفسرون لا يغلب
عسر واحد يسرين ابدا فلا عجب یا حضرات المستشارين أن يبدأ
جيلنا نحن أن يصنع اليسر بيده مؤيدا بروح من بارى النفوس
وملهمها فجورها وتقواها ٠ وقد أن لنا أن نتبع تقوانا بعد أن
أوغل عصرنا فى فجوره وخلق من المعاصى ما لم تعرفه البشرية ٠

ان هذا المتهم المائل امامكم لم يقتل أبى وانما قتل أبى
نفسه ٠٠ وان هذا المتهم حين أطلق الرصاص على أبى كان فى
حالة دفاع شرعى عن الكرامة التى هى أعلى من النفس ٠

أما ان أبى قتل نفسه فيما صنع من فظائع فى حق البشرية
وبما قتل من أنفس وبما قهر من رجولة الرجال وبما أذل من
كرامات الانسان ٠٠ وأى شيء أقسى على نفس الرجل من أن يكون
ذليلا أمام زوجته وابنه وابنته ولا يملك لظالمه دفعا ولا لكرامته

صونا ٠٠ وإذا قالت النيابة أن المتهم هو أيضا قتل طلبت الى الزميل ممثل النيابة أن يرجع الى قول الله سبحانه انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ٠ وقد كان أبى وأشهد فى هذه الساحة المقدسة مقسدا فى الأرض فحق عليه عقاب ٠ وإذا قيل أن العقاب من حق المجتمع ومن حق الله وحده انتقلت الى موقف المتهم مرتثا أنه فعل فعله فى حالة دفاع شرعى عن الكرامة التى هى أقدس عند القلاح الأصيل من النفس ٠ تصوروا يا حضرات المستشارين حال هذا المتهم مقيورا على ملا الناس وأمام روحه وأبنائه وبناته مرغما على أن يبيع أرضا لا يريد بيعها ٠ ما نظرتة الى نفسه والنظرات من حوله احتقار أو اشفاق وكلتا النظرتين أشد على الحر وقعا من كل رصاص العالم فإذا قيل فما باله انتظر هذه السنوات فإن الجواب حاضر من قريب ٠ لقد ذاق هو الذل مقيورا بالجبروت ولم يرد لأبنائه أن يذوقوا الذل مقيورين بالحاجة ٠ فلو أنه صنع صنيعه يوم أرغم على ترك أرضه لترك أطفاله صغارا يتكفون الناس ويمدون أيديهم فى طلب الجدوى فانتظر تزيده السنوات شعورا بالمهانة والذلة حتى استوى أبناؤه رجالا ٠ ودافع عن كرامته التى امتهنت طوال هذه السنين ٠

وأنا يا حضرات المستشارين لست أدعو بقولى هذا الى الفوضوية التى يتاح فيه للفرد أن يمسك القانون بيديه يشرعه هو ويحكم به الآخرين وينفذه أيضا فانه اذا حدث هذا وقعنا فى هوة سحيقة ينهار فيها بنيان المجتمع كله الى حضيض ما له من قرار ٠ انما أحاول فقط أن أخفف عبء جريمة القتل العمد التى توجهها النيابة وهى المدافعة عن حق المجتمع الى قاتل أبى هذا ٠ أن هذا الذى أقول هو ما يعتل فى نفسه دغمى الى قوله محاولة منى أن يكون العسطل أعظم من الأبوة وأن يكون حق الانسان فى الكرامة التى وهبها الله له مقدسا قداسة الروح الانسانية ٠ وأن تكون مصر مسبح الدميمين لا غابة ذئاب ٠

وبعد يا حضرات المستشارين فقد يقال اننى دافعت عن المتهم وجحدت حق الأبوة والله وحده يعلم كم أقدس الأبوة ولكن

تقديسى للحق ولكرامة الانسان اشد . واننى بهذا الذى أقوله
أتوجه الى الذات العلية أن أكون قد كفرت بما قلت عن بعض ما
صنع أبى بالانسان سيد المخلوقات وبما امتهن من كرامته وبما
اذل من عزته وبما أزهد من أرواحه .

وقد يقال شباب فى مقتبل العمر انتهز قتل أبيه فرصة ليصنع
منها لنفسه شهرة . وانى أحتمل هذه القالة ولا أحتمل أن أكنم
الحق نفاقا للمجتمع ولكننى أعلن منذ اليوم أننى أعتزل الحاماة
وأقبل أى وظيفة قد تعرض على .

ولو كنت وكىلا عن موكل فى هذه القضية ما قبلتها ولكننى
يا حضرات المستشارين أنا وحدى الموكل والوكيل فلا وارث للحق
المدنى غيرى ولهذا رخصت لنفسى أن أتشرف بهذا الدفاع فى
ساحتكم القدسية .

وانهى مرافعتى يا حضرات السادة المستشارين بتنازلى عن
الدعوى المدنية تاركا لاستاذى ممثل الدفاع البدء فى مرافعته .

وانهى صلاح كلامه واتجه الى باب الخروج واذا عديلة
التي كانت جالسة على مقعد بجانب الممشى تقف واذا هى حين
يقبل اليها تحتضنه وتقبله على ملاء الناس لأول مرة فى حياتها
ويصحبها ويخرجان .

وببدأ الدفاع مرافعته :

- حضرات المستشارين . . ليس لى بعد مرافعة المدعى
بالحق المدنى أى مرافعة أضيفها الا أن أخير عدالة الحكمة أن
هذا الشاب الذى كان ماثلا أمامكم قد أرجع الحق الى كل من
اغتصب أبوه منه حقا .

وانهى المرافعة بطلب البراءة . .

والتفت رئيس المحكمة الى ممثل النيابة :

– النيابة لها تعليق ..

– النيابة تفوض الأمر للمحكمة .

ذهب صلاح مع عديلة الى منزل أبيها ولم يكن هناك
ما يستطيع واحد منهما أن يقوله . هو لا يزال مرتعشا بالموقف
الذي وقفه مقتنعا انه الحق . وهى مبهورة به ولم يطل بهما
الانفراد جاء أبوها وقالت عديلة :

– ما الذى أخرك ؟

– كنت انتظر الحكم ..

ولم يسأل صلاح عن الحكم وقال لوالد خطيبته :

– لقد انتظرت هذا اليوم لأسألك هل مازلت مصرا أن
تزوجنى ابنتك بعدما شهدت اليوم وبعد أن بددت ثلثى الثروة
التي تركها أبى والتي كانت فى حسابك يوم قبلتنى . أما عديلة
فقد أعلنت رأيها فى المحكمة فما رأيك أنت .

– يا بنى انا لست مصرا ولكن لو تكن خاطبا لابنتى لمسيحت
اليك لكى تخطبها .. انا اليوم أتشبه بك وفى تشبى بك تشبهت
بالأمل فى مصر الغد ..



رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٠٣
التقديم الدولي ٢ - ٠٩٠ - ١٧٢ - ٩٧٧

دار قباء للطباعة
بالمطقة الصناعية C1 أمام المجاورة السابعة
بمدينة العاشر من رمضان - ت : ٣٦٢٧٢٧

الناشر
مكتبة غريب
٢٠١ شارع ٧ من مدني (البحالة)
٠ تليفون ٩٠٢١٠٧

الثلث ٢٥٠ قرشاً